

الدكتور
عبدالحليم محمود

الإمام الرباني الزاهد
عبد الله بن المبارك

١١٨ - ١٨١ هـ



دارالمعارف

الدكتور
عبد الحلیم محمود

الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك

١١٨ - ١٨١ هـ



دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه ومن إتبعت هديه إلى يوم الدين .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [صدق الله العظيم]
(الكهف : الآية ١٠)

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ عن ابن المبارك:
(والله إنني لأحبه ، وأرجو الخير بجه :
لما منحه الله من التقوى ، والعبادة ،
والإخلاص ، والجهاد ، وسعة
العلم ، والإتقان ، والمواساة ،
والفتوة ، والصفات الحميدة) .

الفصل الأول

تقديم ابن المبارك

جمع القرن الثاني للهجرة صفوة من خيار المؤمنين الذين كانوا قمة في العلم ، وكانوا قمة في الأخلاق الكريمة .

ولقد وجدت السنة الشريفة بين مشاربهم ونزعاتهم .
لقد كانت دراسة السنة في هذا العصر طابعاً يشبه أن يكون عاماً بين المثقفين ثقافة عالية ، ومن بين هؤلاء ثلاثة رجال جمع بينهم العلم وجمعت بينهم الصداقة .

أحدهم : سفيان الثوري رضي الله عنه ، وقد بلغت منزلته في الحديث أن كان يقال له : أمير المؤمنين في الحديث - وكان مسنده يحوى ثلاثين ألف حديث ، ومع ذلك فقد كان يقول : « ما حدثت - مما أحفظ - إلا بواحد من كل عشرة أحاديث »

وبلغت منزلته في مكارم الأخلاق أن كان قوة يضيء السبيل للحيارى والسالكين .

ولقد ألقى بنفسه في قوة وصدق وإخلاص في الحرب التي تدور - وهي تدور على العصور - بين الفضيلة والرياسة .

لقد تعرض بالنصيحة الدائمة للشعب ، وتعرض بالنصيحة الدائمة للحاكم إلى أن ضاق بنصائحه أبو جعفر المنصور - كما يضيق بالنصح كل طاغية - فنأدى : « إذا رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه » ولكن الله

سبحانه حفظه من كل سوء بسبب إخلاصه ، ومات أبو جعفر وبقي
سفيان الثوري - ولقد سئل مرة ابن المبارك : مَنْ أئمة الناس ؟ فقال :
سفيان وذووه .

أما الثاني : فهو الفضيل بن عياض رضي الله عنه ، محدث ثقة ،
روى له أئمة الحديث من أمثال البخاري ، ومسلم رضي الله عنهما ،
وقد بلغ الفضيل القمة في الورع وفي محاسبة النفس في الدقيق من
أمرها والجليل ، بحيث يكون كل عمل من أعماله خالصاً لوجه الله
تعالى .

لم يقف بياب سلطان رغبة أو رهبة ، وإنما أتماه السلطان إلى عقر
داره ؛ فكان استقباله للسلطان استقبال العالم المؤمن الورع الذي يعتز
بالله ويثق فيه ويخشى الله ولا يخشى أحداً إلا الله .
وله - كصديقه سفيان الثوري - في مجال الصلة بالسلطان حوادث
أرضى فيها الله والفضيلة .

ومن تقدير ابن المبارك للفضيل ، قوله : قد جمعت علم العلماء
فليس فيما جمعت أحب إلي من علم الفضيل بن عياض .
وأما ثالث هؤلاء الصفوة : فهو عبد الله بن المبارك .

ومن تقدير سفيان الثوري والفضيل بن عياض له ، ما يلي :
روى عمران بن موسى الطرسوسي قال : جاء رجل فسأله سفيان
الثوري عن مسألة فقال له : من أين أنت ؟ . فقال : من أهل المشرق .
قال : أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ . قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟
قال : عبد الله بن المبارك .

قال : وهو أعلم أهل المشرق ؟ قال : نعم ، وأهل المغرب .

وعن أحمد بن عبدة ، قال كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوساً في المسجد الحرام ، فطلع ابن المبارك من الثنية ، فقال : سفيان : هذا رجل أهل المشرق .

فقال فضيل : هذا رجل أهل المشرق وأهل المغرب وما بينهما .
ولا نحب أن نوازن بين هؤلاء الثلاثة ، ولا بين عبد الله بن المبارك وغيره من أفاضل عصره ، فإننا نجعلهم عن أن نعقد موازنة بينهم ، فهم أهل للفضل وأهل للثناء .

وهؤلاء الأئمة وأمثالهم يجب علينا أن نوضح من سيرهم لشبابنا ما ينير الطريق المستقيم أمامهم ، إن سيرهم تضع شبابنا في جو إسلامي من ناحية الفكر ، وفي جو إسلامي من ناحية السلوك ، وسيرى شبابنا مثلاً علياً . يتدبر أن يجد الإنسان ما يضارعها في تاريخ الغرب في ماضيه أو في حاضره .

لقد رسم الإسلام بطابعه - وما زال - طائفةً من الناس هم المثل العليا للإنسانية : استمدوا شعارهم من الجو الرياني الذي يشع من القرآن الكريم ومن السيرة النبوية الشريفة فأسلموا وجوههم لله ، واستجابوا إلى ما رسمه الإسلام من سلوك مبني على إسلام القلب لله .

والأمة الإسلامية : أحوج ما تكون الآن إلى وضع الشباب ، بل ومن هم أسنُّ من الشباب ، في الجو الإسلامي الصادق .

والوسيلة السهلة الجذابة في ذلك إنما هي التحدث عن سيرة رجال الإسلام الصادقين أمثال مالك والشافعي وابن حنبل ، وأمثال الحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، وسفيان ، والفضيل ، وابن المبارك

والبخارى ، وعشرات غيرهم فى كل فن من فنون العلم ، وفى كل
قمة من قمم الفضيلة .

ونعود إلى ابن المبارك ، وإذا كنا نمتنع عن الموازنة فإننا لا يسعنا
إغفال تقدير العلماء لعبد الله بن المبارك سواء أكانوا فى عصره ، أم
كانوا بعده ، وقبل أن نورد تقدير العلماء له نحب أن نقول إن الكثير
من هذه التقديرات يمكن أن يقال فى أمير المؤمنين فى الحديث سفيان
الثورى وفى الإمام الورع - القمة فى الورع - الفضيل بن عياض .
ونحب أن نبدأ من هذه التقديرات بما أورده حاتم الجوهري فقال :
حدثنا أسود بن سالم قال : كان ابن المبارك إماماً يقتدى به ، كان من
أثبت الناس فى السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه
على الإسلام .

ونحب أن نقف عند هذه الكلمة ونتساءل : لماذا يتهم على الإسلام
من يغمز عبد الله بن المبارك ؟ لماذا ؟ إن التعليل لذلك واضح من الجو
الإسلامي كله ، إن الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى من
إخراج الإمام البخارى :

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » وأولياء الله حدّ الله سبحانه
صفاتهم ، إنهم :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : الآية ٦٣] .

وقد كان الإمام ابن المبارك فى القمة من الإيمان ، وفى الذروة من
التقوى ، فمن غمزه فهو فى حرب من الله ، وهو إذن منهم على
الإسلام - ولكن الأمر ليس خاصاً بابن المبارك ، فإن كل من غمزه

وليا من أولياء الله فإنه في حرب من الله سبحانه ، وهو بالتالي متهم على الإسلام .

إن بعض الناس يضيق بالفضيلة ذرعاً لأن نفسه أظلمت واستحبت الحياة الدنيا بشهواتها وأهوائها على الآخرة ، وهي لذلك تحب أن تلوث كل فاضل وتتقص كل كامل ؛ ومن هنا كانت عداوة الأولياء ، وعداوة الأولياء هي عداوة لصفاتهم ، أي عداوة للإيمان وعداوة للتقوى فمن عاداهم اتهم في إسلامه .

وتقدير آخر صادر عن علم من أعلام العلم : إنه ابن عيينة يقول : « نظرت في أمر الصحابة ، وأمر ابن المبارك ، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه » .

إن الصحابة رضوان الله عليهم كرجال لا يفضلون ابن المبارك ، إنه كان مجاهداً كما كانوا يجاهدون ، وكان مخلصاً كما كانوا مخلصين ، وكان عالماً بالسنة ، وكان فاضلاً :

بيد أن ابن عيينة حينما تحدث عن صحبتهم للنبي ﷺ وغزوهم قفز بهم في الفضل قفزة هائلة تقطع الرقاب دونها ؛ لقد اقتبسوا من أنوار رسول الله ﷺ كل بحسب استعدادده ، ولقد قال رسول الله ﷺ فيهم فيما رواه عمران بن حصين رضي الله عنهما وأخرجه البخاري - « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه في أبي بكر رضي الله عنه : « إن من أمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ، ومودته » . وقال في عمر رضي الله عنه فيما رواه سعد بن أبي وقاص

رضي الله عنه قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر قمن قبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ؛ فقال النبي ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . فقال عمر : فأنت أحق أن يهين يا رسول الله ، ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهن أنهبنني ولا تهين رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم . أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما ليك الشيطان سالكا فجا فط إلا سلك فجا غير فجعك^(١) .

وقال في عثمان رضي الله عنه فيما روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ، فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ؟ فقال ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة^(٢) .

وقال في الإمام علي رضي الله عنه فيما رواه عامر بن سعد بن

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الإمام مسلم .

أبي وقاص عن أبيه قال : رسول الله ﷺ لعل : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »^(١) .

وقال فيه أيضاً فيما رواه مسلمة قال : كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد ، فقال أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟ فخرج علي فلاحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غداً رجل يحب الله ورسوله ، أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ، فإذا ما نحن بعلي وما نرجوه : فقالوا هذا علي ، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية يفتح الله عليه^(٢) .

وكان منهم سيف الله ، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، بعى زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم^(٣) .

وحول رسول الله ﷺ : عن جابر رضي الله عنه قال . قال النبي ﷺ : إن لكل نبي حوارى ، وإن حوارى الزبير بن العوام^(٤) . وما من شك في أن ابن عبيدة لم يكن يقصد كبار الصحابة ، ومع ذلك فإن هذه الكلمة حينما تصدر عن ابن عبيدة لها وزنها الكبير ،

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

لأن ابن عيينة كان من أعلم الناس بالسنة ، وبفضل الصحابة رضوان الله عليهم .

ولعل من أسباب هذه الكلمة ما يعمه ابن عيينة من صفات كثيرة تحلى بها ابن المبارك ، فقد روى أبو حاتم عن إسحاق ابن محمد بن إبراهيم الروزي : نعم ابن مبارك إلى سفيان بن عيينة فقال : لقد كان فقيها عالما عابدا زاهدا شجاعا شاعرا .

ولقد تحدث الكثير ممن كتب عن ابن المبارك عن إمامته ، والإمامة هنا تعنى الإمامة فى العلم ، فعن العمري يقول . ما رأيت فى دهرنا هذا أحدا يصلح هذا الأمر إلا رجلا أتاني إلى منزلي فأقام عندي ثلاثا يسألني عن غير ما يسألني عنه أهل هذا الدهر ، فصيح اللسان ، إلا أن اللغة شرقية يكنى أبا عبد الرحمن ، معه غلام يقال له سفير ، فقلنا له . : هذا عبد الله بن المبارك ، فقال : هكذا ينبغي ، إن كان معي أحد يصحح هذا الأمر فذاك ، قال عبيد - يعنى الاقتداء بالعلم . وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : الأئمة أربعة : سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وابن المبارك .

وعن المسيب بن واضح قال : سمعت أبا إسحاق الفزري يقول : « ابن المبارك إمام المسلمين » ، « ورأيت أبا إسحاق بين يدي ابن المبارك قاعدا يسأله » .

وقال العمري : ابن المبارك يصلح لهذا الأمر - فقال له رجل : أى شيء ؟ قال : الإمامة .

ولكنها أيضا تعنى الإمامة فى الفضل ، فهو عالم ، فاضل ، كما تحدث

المؤرخون عن علمه فإنهم تحدثوا عن فضله ، بل إنهم كانوا يعدون صفاته الكثيرة المبررة لإمامته ومن ذلك :

قال الحسن بن عيسى : « اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل ابن موسى ومخلد بن حسين وغيرهما فقالوا : تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ؛ فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والبحر ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصاف ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزوة ، والفروسية ، والشجاعة ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام في ما لا يعنيه ، وهدوء الخلاف على أصحابه .

وقال الجبكي : « هو إمام عصره في الآفاق ، وأولاهم بذلك علما وزهدا وشجاعة وسخاء » .

وقال ابن حبان في الثقات : كان فيه حصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمان في الأرض كلها .

وعن العباس بن مصعب قال : جمع عبد الله بن المبارك ؛ الحديث والفقه والعربية ، وأيام الناس ، والشجاعة والتجارة والسحاء والمحبة عند الفراق » .

وقال إسماعيل بن عباس : « على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصيلة من حصال الحير إلا وقد جعلها فيه » .

وبقي بعد ذلك التقدير العام لابن المبارك ، يقول علي بن المديني : « انتهى العلم إلى ابن المبارك ومن بعده إلى يحيى بن معين » .

ولقد سئل يحيى بن معين - الذي يقول علي بن المديني : إن العلم انتهى إليه - عن ابن المبارك ، فقال إنه : « سيد من سادات المسلمين ،

وقال أيضاً : كان عبد الله بن المبارك رحمه الله ، كيساً متيناً وثقة ،
وكان عالماً صحيح الحديث .

وعن عبيد بن جناد أبو سعيد قال : قال لي عطاء بن مسلم :
يا عبيد ، رأيت عبد الله بن المبارك ؟ قلت : نعم ، قال مارأيت مثله
ولا ترى مثله .

وقال السائي : « لا تعلم في عصر ابن المبارك أجل من ابن المبارك
ولا أعلى منه ، ولا أجمع لكل حصلة محمودة منه » .
وأما تقدير أصحاب كتب الطبقات ، فإنه موفور :

من ذلك تقدير صاحب كتاب الحلية ، قال : « ومنهم السخي
الجواد ، المهد للمعاد ، والمتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج
والجهاد جاد فساد وروجع فراد ، ماله مشارك ، وفعله مبارك وقوله
مبارك ، شاهانشاه ، عبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه .

وقيل : « إن التصوف اعتداد لا ازدياد ، واستعداد وارتداد » أهـ .
وتقدير الشعراء : يقول عمار بن الحسن يمدح ابن المبارك :

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذكر الأخيار في كل بلدة بهم أنجم فيها وأنت هلالها

وقد كان ابن المبارك صديقاً للإمام مالك ، يقول يحيى بن يحيى
الأندلسي : كنا في مجلس مالك فاستوذن لابن المبارك ، فأذن قرأنا
مالكاً تزحرج له في مجلس ، ثم أقعده بلصفه ولم أره تزحرج
لأحد في مجلسه غيره ، فكان القارئ يقرأ على مالك فربما مر
بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا ؟ فكان عبد الله يجيبه بالحفاء

ثم قام مخرج ، فأعجب مالك بأدبه ، ثم قال لنا : هذا ابن المبارك فقيه حراسان .

ونختم هذه المجموعة من الآراء في ابن المبارك بما قاله الجليلي في الإرشاد : ابن المبارك الإمام المتفق عليه ، له من الكرامات مالا يحصى ، يقال : إنه من الأبدال .

الفصل الثمان حياة ابن المبارك

ولكن من هو ابن المبارك ؟ لقد تحدثنا عنه عالمًا ناصحًا فكيف نشأ ؟
إنه - كما ينقل صاحب تاريخ بغداد - عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن
المروزي مولى بنى حنظلة ، وكانت أمه خوارزمية ، وكان أبوه تركيًا .
ويتحدث عمرو بن علي عن سنة ميلاده فيقول : ولد عبد الله بن
المبارك ستة ثمان عشرة ومائة ، وولد بحرو ، والمروزي نسبة إلى مرو ،
ويعلم بحرو العلوم الإسلامية ؛ ووسائل العلوم الإسلامية .

لقد حفظ القرآن وتعلم العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها ، وتثقف
في الفقه والحديث ، واستمر بحرو إلى أن بلغ الثالثة والعشرين من
عمره المبارك ، وأخذ من العلوم أساسًا قويًا ، وربما كان به في
هذه السن المبكرة شيء من الشهرة ؛ فقد كان ذا حافظه قوية لا يكاد
يفلت منها شيء مما تسمع ، وفي ذلك يقص صحر وهو صديق
لابن المبارك قصة حدثت به ولابن المبارك ذات يوم .

لقد كانا في الكتاب معًا يحفظان القرآن ، وخرجا من الكتاب وأحذا
في الطريق إلى وجهتهما وبسماهما في الطريق إذا بخطيب يخطب
ووقفا ينصت إلى الخطبة ، ولما انتهى الخطيب قال ابن المبارك : لقد
حفظتها ، ويدو أن الخطبة كانت طويلة ، وذلك أن كلمة ابن المبارك
عن أنه حملها أثارت عجب أحد السامعين فقال كالتحدي : هاتها .

فأعادها ابن المبارك حرفاً حرفاً ، ولقد هدده أبوه يوماً بأن يحرق كُتبه .
فكانت إجابة ابن المبارك إن كُتبه في صدره : إنه يحفظها .

بيد أن هذه الذاكرة قد تحكم فيها ابن المبارك فجعلها تقبل ما يجب
وترفض ما لا يجب - إن في العلوم الغث الكثير واللغو والحرافات ،
والذاكرة مهما كانت طاقة معينة ومن الخير أن لا يهتم الإنسان إلا بالنافع
المفيد من مسائل العلم ، وكان ابن المبارك يسير على هذا المبدأ .

لقد سأله أحد المحيطين به قائلاً : هل اشتغلت بمزاولة حفظ
الأحاديث ؟ فكان جوابه : إني أقرأ فما راقى نقش في قلبي فكان
محفوظاً .

وفي ذلك يقول محمد بن النضر بن مساور قال : قال أبي : قلت
لعبد الله - يعني ابن المبارك - يا أبا عبد الرحمن هل تحفظ الحديث ؟
قال : فتعير لوجه وقال : « ما تحمظت حديثاً قط ، إنما آخذ الكتاب
فأنظر فيه ، فما أشنهيه على قلبي » .

كان ابن المبارك ذكياً ، وكان ذا ذاكرة قوية ، وكان مجتهداً ، ومن
الطبيعي أن ينال - وهو في سن مبكرة - شيئاً من التقدير وشيئاً من
الشهرة .

ويحدث أحمد بن سنان فيقول : بلغني أن ابن المبارك أتى حماد بن
ريد في أول الأمر ، قال فظفر إليه فأعجبه نحوه ، فقال له : من أين
أنت ؟ قال : من أهل خراسان . قال : من أي خراسان ؟ قال : من
مرو ، قال : تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك ؟ قال : نعم .
قال : ما فعل ؟ .

قال : هو الذى تخاطب . قال : فسلم عليه ورحب به ، وحسن
الذى بينهم .

وتمضى الأيام ، وبلغتقى من جديد بحماد ، وعن ذلك يقول
إسماعيل بن على بن إسماعيل : بلغنى عن ابن المبارك أنه حضر عند
حماد بن زيد مسلماً عليه ، فقال أصحاب الحديث لحماد بن زيد :
يا أبا إسماعيل ، تسأل أب عبد الرحمن أن يحدثنا ؟ .

فقال : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ، فإنهم قد سألونى ، قال : سبحان
الله يا أبا إسماعيل ، أحدث وأنت حاضر ؟ قال : فقال : أقسمت
لتفعلن - أو نحوه .

ومن طريف الأمر أن ابن المبارك استجاب فقال : خذوا ولم يحدثهم
إلا عن حماد بن زيد .

وكان طموحا ولا يتأتى لمن كان كذنت إلا أن يضرب فى الأرض
طلباً لما يمهضه من علم أو تقوى أو مال .

وغادر ابن المبارك مرو لأول مرة فى سن الثالثة والعشرين إلى
العراق ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين ومائة .

إن بغداد إذ ذاك كانت مركز أنظار الطامحين سواء أكان طموحهم
من أجل الدنيا أم من أجل الدين ، وسافر ابن المبارك إلى العراق : إلى
مختلف مدنها الشهيرة - ولم يقف شعف ابن المبارك عند العراق ،
بل سافر إلى أقطار أخرى وخصوصاً الحجاز .

وكان إذا خرج إلى مكة أنشد شعره :

بعض الحياة وخوف الله أخرجنى وبيع نفس بما ليست له ثعنا

إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا
 وحيثما كان يصل إلى مكة يذهب إلى الحرم ويشرب من ماء زمزم
 ويسوى بالشرب من ماء زمزم أمراً يرجو الله أن يحققه ، وفي ذلك
 يقول سويد بن سعيد : « رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم
 فاستقى منه شربة ، ثم استقل الكعبة ، ثم قال : اللهم إن ابن أبي
 الموال ، حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال :
 « ماء زمزم ما شرب له » وهذا أشربه يعطش انقيامة ثم شربه » .
 وفي أثناء هذه السياحات افتتن ابن المبارك بشخصيات هي من خيار
 الأمة :

لقد افتتن بالفصيل بن عياض ، وافتنى بسفيان الثوري ، وافتنى
 بالإمام مالك وافتنى بأبي حنيفة رضي الله عنهم .

ابن المبارك والعلم :

يقول صاحب وفيات الأعيان في ذلك : « أبو عبد الرحمن عبد الله بن
 المبارك بن واضح المروزي ، مولى بني حنظلة ، كان قد بين العلم
 والزهد وتفقه على سفيان الثوري ، ومالك بن أنس رضي الله عنهما
 وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محباً للخوة ، شديد التورع .
 ومحمدك كان أبوه » .

ومحب أن نقف قليلاً عند هذه الكلمة لصاحب وفيات الأعيان :

إنه يقول : « كان قد جتمع بين العلم والزهد » :

أما عن العلم فإن أبا أسامة يقول : ما رأيت أطلب للعلم من
 عبد الله بن المبارك .

ويقول المؤرخون عنه إنه : « طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة في أبواب العلم ، وكان ثقة مأموناً حجة كثير الحديث » .

ويقول الذهبي عنه أنه : دون العلم في أبواب الفقه وفي الغرو والزهد والرقائق وغير ذلك .

ويتبين الإنسان مكانته العلمية إذا نظر في قائمة الكتب التي ألفها ابن المبارك .

وإذا كان ابن المبارك قد اشتهر بالحديث ويقول فيه أبو أسامة : « كان ابن المبارك في الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس » .
ففيه مع ذلك اشتغل بتفسير القرآن ، ويذكر صاحب « المهرست » أن له تفسيراً للقرآن .

ولقد اشتغل بالتاريخ ، ويذكر ابن النديم أيضاً أن له كتاباً في التاريخ وله كتاباً في « الفتاوى » .

واشتهر ابن المبارك بالفقه ، وألف فيه كتاب : (السنن في الفقه) .
ويقول ابن سعد : طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة في العلم وصنوفه ، حمدها عنه قوم وكتبها الناس عنهم ، وقدم العراق والحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن وسمع علماً كثيراً ولقد تفقه - كما يقول صاحب (وهيات الأعيان) على سفيان الثوري ، ومع أن سفيان الثوري أستاذه ، فإنه كان يتمنى أن لو أتيح له أن يكون كابن المبارك سنة واحدة ؛ أو حتى ثلاثة أيام ، وهذا تقدير كريم من الأستاذ لتلميذه . وتفقه على الإمام مالك ، وروى عنه الموطأ .

ولكنه تفقه بأبي حنيفة ، يقول صاحب النجوم الراهرة : وأكثر
الترحال في طلب العلم ، وروى عن جماعة كثيرة ، وروى عنه
خلائق ، وتفقه بأبي حنيفة .

ومن تقديرهم لمنزله في الفقه ما يقوله محمد بن المعتمر بن سليمان :
قال : قلت لأبي . يَأْتِي ، من فقيه العرب ؟ .

قال : سفيان الثوري ، فلما مات سفيان الثوري ، قلت لأبي : من
فقيه العرب ؟ قال : « عبد الله بن المبارك » .

ويقول إبراهيم بن شماس : رأيت أفضه الناس ، وأورع الناس ،
وأحفظ الناس ؛ فأما أفضه الناس فابن المبارك ، وأما أورع الناس :
فمصيل بن عياض ، وأما أحفظ الناس : فوكيع بن الجراح .

خطوة ابن المبارك علمية :

ونأتى من جديد لكلمة صاحب وفيات الأعيان عن ابن المبارك ،
يقول : « وكان كثير الانقطاع ، محباً للحلوة » .

وهو في انقطاعه هذا الذي يشير إليه صاحب وفيات الأعيان ، كان
دارساً للعلم . وله في ذلك كلمات طريفة ، عن أبي داود قال : قلت
لابن المبارك : من تجالس بهراسان ؟

قال : أجالس شعبة وسفيان .

قال أبو داود : يعني أنظر في كتبهما .

وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال : قيل لابن المبارك إذا صليت
معا لم لا تجلس معنا ؟

قال : أذهب مع الصحابة والتابعين .

فلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟

قال : أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم ! أنتم تفتابون الناس .

ومن تقديرهم له في الجانب العلمي . ما رواه يحيى بن آدم قال : « كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك ، أبست منه » .

وما رواه المعتمر بن سليمان قال : « ما رأيت مثل ابن المبارك ، تصيب عنده الشيء الذي لا تصيبه عند أحد » .

وهو نفسه كان شاعراً بمنزلة

عن السندی بن أبي هارون قال :

كنت أختلف مع ابن المبارك إلى المشايخ ، قال : فربما قلت له : يا أبا عبد الرحمن : ممن نستفيد ؟

قال : « من كتبنا » .

ولابن المبارك كلمات كثيرة في العلم وصالح نذكر منها ما يلي . من كلامه : « تعلم العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا » .

وكان يقول : « عجت لطالب العلم كيف تدعوه نفسه إلى محبة الدنيا مع إيمانه بما حمل من العلم » :

وعن عبد الصمد قال . سمعت الفضيل يقول . قال ابن المبارك . أكثركم عنما يسعى أن يكون أشدكم خوفاً .

وكان يقول : « من شرط العالم أن لا تخطر محبة الدنيا على باله » . وقبل له : من سفلة الناس ؟ قال : « الذين يتعشون بدينهم » .

وكان يقول : « إذا تعلم أحدكم من القرآن ما يقيم به صلاته فليشتغل بالعلم فإن به تعرف معاني القرآن » .

ابن المبارك عالم اتباعي :

ولقد كان ابن المبارك عالماً على السبق الاتباعي ، وهذا السبق الاتباعي هو سبيل كل العلماء المحبين لرسول الله ﷺ ، والدين يستجيبون لأمر الله الذي يقول :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١) .
لقد اتحد ابن المبارك رسول الله ﷺ أسوة به في كل خطواته ، وإذا كان بعض الناس يقرأ الأحاديث الشريفة المتعلقة بالاتباع ، ويقتصر على القراءة ، فإن ابن المبارك وكثيراً من المحققين قد حققوها واقعياً . ومن حديث رسول الله ﷺ في الاتباع : عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « من أكل طيباً ، وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » قالوا . يا رسول الله ، إن هذا في أمتك اليوم كثير ؟ قال : « وسيكون في قوم بعدى »^(٢) .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروا ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وملة نبيه^(٣) »

(١) الأحزاب ٢١ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدعة »^(١) .

وعن ابن عباس قال : حسب رسول الله ﷺ ، فقال :
إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، ألا إن الله قد فرض فرائض ،
ومن سنننا ، وحد حدودنا ، وأحل حلالا ، وحرم حراما ، وشرع
أسيرا فجعله سهلا سمحا واسعا ولم يجعله صيقا ، ألا إنه لا إيمان لمن
لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ومن نكث دمة الله طلبه ، ومن
نكث ذمنا حاصمته ، ومن حاصمه فلجئت عليه^(٢) ، ومن نكث
ذمتي لم ينل شعاعتي ولم يرد عني الخوض^(٣) .

وعن عباس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقبل الحجر (يعني الأسود) ويقول : « إني لأعزم أنك حجر لا تنفع
ولا تنصر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك »^(٤) فعمر
يفضل الاتباع .

ولقد كان الإمام الجليل عبد الله بن عمر ، من خير من طبق الاتباع
عمليا ، ومن أحاراه في ذلك : عن زيد بن أسلم قال : « رأيت ابن
عمر يصلي محلولاً إزاره ، فسأنته عن ذلك ، فقال : رأيت رسول الله
ﷺ يفعله »^(٥) .

(١) روه الحاكم موقوفاً وقال بإساده صحيح على شرطهما

(٢) فلجئت عليه عليه رطهرت عليه

(٣) روه الطبراني في الكبير .

(٤) روه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والحاوي .

(٥) روه ابن خزيمة في صحيحه ، ورواه البيهقي .

وعن مجاهد قال : كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر ، فمرّ بمكان فجاد عنه ، فسئل : لم فعلت ذلك ؟ قال : « رأيت رسول الله ﷺ ، فعل هذا ففعلت^(١) » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها ، ويحبر أن رسول الله ﷺ ، كان يفعل ذلك^(٢) .

وعن ابن سيرين قال : كنت مع ابن عمر رحمه الله بعرفات ، فلما كان حين راح رحلت معه حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين ، فأناخ وأتخنا ، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي ، فقال غلامه الذي يمسك راحلته : « إنه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضى حاجته^(٣) » .

وكان ابن المبارك متبعاً لا مبتدعاً ، وكان يحذر من المبتدعين ؛ يقول إسماعيل الطوسي قال ابن المبارك : يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة .

وعن عبد الله بن عمر السرخسي قال : إن الحارث قال : أكلت عند صاحب بدعة أكلة يبلغ ذلك ابن المبارك ، فقال : « لا كلمتك ثلاثين يوماً » .

(١) رواه أحمد والبخاري بإسناد جيد

(٢) رواه البربر بإسناد لا بأس به .

(٣) رواه أحمد ، ورواه صحيح بهم في الصحيح .

ومن أهم الأخبار التي وردت عن ابن المبارك أنه قيل له : إن شيان يزعم أنك مُرجىء .

فقال : كذب شيان ، أنا خالفت المرجئة في ثلاثة أشياء :
فإنهم يزعمون : أن الإيمان قول بلا عمل ، وأنا أقول هو قول وعمل .

وزعمون : أن ترك الصلاة لا يكفر ، وأنا أقول : إنه يكفر .
وزعمون : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأنا أقول : إنه يزيد وينقص .

وأمر الاتباع ليس بغريب على ابن المبارك الذي كان من شأنه ما يرويه نعيم بن حماد : « كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب إرقائق يصير كأنه ثور منحور ، أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه ، أو يسأله عن شيء إلا دفعه » .

وما يرويه شعيب بن شعبة كان إذا قرأ شيئاً من كتب الوعظ كأنه بقرة مسحورة من السكاء لا يجترئ أحد أن يدنو منه ولا يسأله عن شيء » .

ومن مظاهر شدة تقدير ابن المبارك لكل من يمت إلى العلم بصلة والمحافظة على من يتسبب إلى الدين ، ما رواه أبو داود الطرسوسي قال :
قلت لعبد الله بن المبارك : إنا نقرأ بهذه الألحان ؟ فقال :
إنما كره بكم منها ، إنا أدركنا القراء وهم يؤتون سمع قراءتهم ، وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون .

ومن تقدير ابن المبارك للعلم والعلماء أنه بلغه عن إسماعيل بن علية أنه قد ولى الصدقات ، فكتب إليه ابن المبارك :

يا جاعل العلم له بازيا يصطاد أموال السلاطين
 احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
 فصرت مجنوناً بها بعد ما كنت دواء للمجانين
 أين رواياتك والقرول في لزوم أبواب السلاطين
 إن قلت أكرهت فما هكذا زل حمار الشيخ في الطين

وكان يقول : على العاقل أن لا يستخف بثلاثة : العلماء والسلطان
 والإخوان ، فإن من استخف بالعلماء ذهب آخرته . ومن استخف
 بالسلطان ذهب ديناه . ومن استخف بإخوان ذهب مروءته .
 ويحتتم هذه الكلمات في العلم بما يلي :

سئل عبد الله بن المبارك : ما ينبغي للعالم أن يتكرم عنه ؟
 قال : يسعى أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه ، ويرفع نفسه عن
 الدنيا فلا تكون منه على بال .

ويعود إلى كلمه صاحب رقيات الأعيان ، إنه يقول : وكان شديد
 التورع وكذلك أبوه .

ابن المبارك والتورع والزهد :
 وورع ابن المبارك مشهور معروف عند الخاصة والعامة ، ومن
 كلامه الحكيم في التورع :

عن عيسى بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك يوشك رجلاً اتقى
 مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً ، ومن كان فيه
 حلة من انجهن كان من الجاهلين ، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه
 السلام لما قال :

﴿ رَبِّ : إِنَّ أُنْثَىٰ مِنْهُ خَالِدَةٌ ﴾ .

فقال الله : ﴿ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(١)

ويقول احسن . رأيت في مرل ابن المبارك حمامًا طائفة ، فقال ابن المبارك : كذا نتفع بفراخ هذه الحمام ، فليس نتفع بها اليوم ، قلت . ولم ذلك ؟ قال : احتلطت بها حمام غيرها فتزوجت بها فحزن نكره أن نتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك .

وقال علي بن الحسن بن شقيق : سمعت ابن المبارك يقول . لأن أرد درهمًا من شهية أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى يبلغ ستمائة ألف .

ولم يكن ورعًا وحسب ، بل كان زاهدًا أيضًا ، ومن كلماته في الزهد ، وتقدير الراهب أنه كان يقول : « سلطان الرهد أعظم من سلطان الرعية ، لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا ، والزهد ينفر من الناس فيتبعوه » .

وفهمه للزهد فهم الأتقياء الصالحين إنه يقول : « دعواك الزهد لنفسك يخرجك عن الزهد »

ولقد سئل مرة : من الملوك ؟ فقال الزهاد .

خشيتهم

لقد كان ورعًا ، وكان زاهدًا ، ويصحب ذلك شعور بالحشية ، هذه الحشية التي تصاحب العلماء دائمًا ؛ العلماء المخلصين ، ومن طريف ما يروى في ذلك أن القاسم بن محمد قال : « كنا نسافر مع

(١) هود : الآية ٤٦ .

ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالى فأقول فى نفسى : بأى شىء
فضل هذا الرجل علينا ، حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة ، إن كان
يصلى ، إنا لنصلى ، وإن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو فإن
لنغزو ، وإن كان يحج فإننا لنحج .

قال : فكنا فى بعض مسيرنا فى طريق الشام ليلة نتعشى فى بيت
إد أطفئ السراج فقام بعضا فأخذ السراج خرج يستصبح فمكث
هنيهة ثم جاء بالسراج . فنظرت إلى وجه ابن المبارك ، وجليته قد
ابتلت من الدموع فقلت فى نفسى بهذه الخشية فصل هذا الرجل
علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمة ذكر القيامة « اهـ .

تواضعه :

ويصاف إلى كل ذلك التواضع الجرم ، وفى ذلك يقول الحسن
عنه ييما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب الماسك انتهى إلى حيث هو
فيه قال عبدالله وبه لأخذ ، فقال : من كتب هذا من قولى ؟ ،
قلت : الكاتب الذى كتب فلم يزن يحكه بيده حتى درس ثم قال ومن
أنا حتى يكتب قولى .

وفى حفل الرواح الذى أقامه محمد بن النفر لولده دعى ابن المبارك
فلما جاء قام ابن المبارك ليعخدم الناس ، فأبى المصر أن يدعه وحلف
عليه حتى جس .

التاجر الثرى :

ولكن ابن المبارك الذى كان ورعاً وكان زاهداً وكان يمتلىء خشية
هو ابن المبارك التاجر الكبير الثرى الصالح الثراء ، وهو فى ذلك

يقول : « لا يحرص العبد على الزهد إمساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس » .

إن ابن المبارك بهذا الثراء العريض يصحح فكرة التوكل وفكرة الزهد التي يسيء الناس - أحيانا - فهمها ، ليس التوكل تجردا عن المال ، وليس الزهد رفضا للثراء . وكل الذين يأخذون على الصوفية رفضهم للمال والثراء ويتقذرونهم من أجل ذلك محطئون ، والمسألة في الواقع مرجعها تحكم المال في الشخص واستعادته له ، أو تحكم الشخص في المال وجعله وسيلة لمرضاة الله سبحانه .

إن الله سبحانه حث على اكتساب الرزق وأمر بالضرب في الأرض والمشي في مناكبها قال تعالى :

﴿ وَاحْرُزْ أَنْ تَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَخَوْنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يُقَاتِبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاغْرَوْا مَا تَسْرِبُهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّعُورُ ﴾ (٢) .

ورسول الله ﷺ حث على العمل ، وعلى اكتساب الرزق :
عن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال . قل

(١) سورة الزمل : من الآية ٢٠ .

(٢) الملك : ١٥

رسول الله ﷺ . « لأن يأحد أحدكم حبه ، ثم يأتي الحبل فيأني بحرمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حرمة على ظهره خير له من يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه »^(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يديه »^(٣) .

وعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه ، وإن نسي الله دواود ﷺ كان يأكل من عمل يديه »^(٤) .

وحث صلوات الله وسلامه عليه ، على الابتعاد عن المسألة والسؤال : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم »^(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من سأل الدس تكثراً فإنما يسأل حمراً فليستقل أوليستكثر »^(٦) .

(١) رواه البخاري .

(٢) متفق عليه

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال النبي : « أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى . حس - وهو نوع من الكساء - بلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب - وهو قدح لشرب - يشرب فيه من الماء ، قال : اتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأحدهما رسول الله ﷺ بيده وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا أحدهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ : من يريد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أد أحدهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه فأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ، فأتاه به فشده رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أريك حمصة عشر يوماً . ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وبعضها طعاماً ؛ فقال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة »^(١)

وعن حكيم بن حرام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال « يا حكيم ، إن هذا المال حصر حلوف فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

قال حكيم : فقلت يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ^(٢) أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضي الله عنه ،

(١) روه أبو داود .

(٢) لأرزأ : أي لا أنصيب من أحد شيئاً .

يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء، فيأتي أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر رضى الله عنه، دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله ، فقال : يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أنني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفىء فيأتي أن يأخذه، فلم يرر أحدًا من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي^(١) .
والمسعى عنه في الدين الإسلامي هو أن تصرف التجارة عن ذكر الله ، أو يصرف الكسب عن ذكر الله . قال تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَاعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) .

والله سبحانه وتعالى يتحدث عن :
﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتَاءَ الزَّكَاةَ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيُخْزِبَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيُرِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٣) .

إنهم يتاجرون ويبيعون ويشترون ، ولكن ذلك كله لا يلهيهم عن ذكر الله ، فمدحهم الله تعالى بذلك .
وادم الله سبحانه قوماً لأنهم انصرفوا عن الله ، والسبب هو حريهم وراء جمع المال وتكديسه ، يقول سبحانه :

(١) منلق عليه .

(٢) البقرة ٩ ، ١٠ .

(٣) النور ٣٧ ، ٣٨ .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ ۖ حَتَّىٰ رَأَيْتُمُ الْمُقَابِرَ ۚ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَاقِينَ ۚ تَرَوْنَ الْجَحِيمَ ۚ ثُمَّ لَتَرَوْهَا غَيْرَ الْبَاقِينَ ۚ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ الرَّعِيمِ﴾^(١) .

والجو الإسلامي كله إنما هو توجيه نحو تحقيق الصورة التي تتمثل في قوله تعالى :

﴿كَيْلًا تَأْسُونَا عَلَىٰ مَا فَاَتَكُم ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم﴾^(٢)

ويمدح رسول الله ﷺ انتاجر الصدوق فيقول ما معناه : « التاجر الصدوق الأمين يحشر يوم القيامة مع السيئ والصدّيقين والشهداء والصالحين » .

وليس في الإسلام حث أو توجيه إلى الفقر ، بل على العكس من ذلك فيه حث وتوجيه إلى الثراء الذي لا يلهي عن ذكر الله .

وإن من يتدبر فريضة الركاة ، وأنها ركن من أهم أركان الإسلام وأن هذا الركن يتحدث الله سبحانه وتعالى عنه كثيراً في القرآن ، وأنه ركن لا يقوم بأدائه الفقراء ، وأن الفقراء بقصصهم تحقيق أحد أركان الإسلام ، إن من يتدبر ذلك يعلم يقيناً أن الإسلام يحث على اكتساب الثراء ، ويعلم أن أيد العليا خير من أيد السفلى ، ويعلم أنه كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول .

وإن من يتدبر الآيات القرآنية الكثيرة ، والأحاديث النبوية المتعددة عن الصدقة ، وعن جراء المتصدقين ، وعن مكافأة الله لهم في الدنيا

(١) سورة التكاثر .

(٢) الحديد : من الآية ٢٣ .

ومى الآخرة ، يعلم أن انفق في ذاته ليس فصيلة إسلامية ، وأن الممدوح إنما هو اعمى الشاكر - حلاقاً لمن ذهب إلى القول بتفضيل الفقير الصابر - وأن الفقير ليس محلاً لنشاء من أجل فقره .

وابن المبارك ، وهو من كبار المتابعين للسنن الإسلامية ، كان يكتسب المال الكثير من وراء تجارته ، وكان مثله مثل سيدنا عثمان ذي النورين الذي مول جيش العسرة وحفر بئر رومة ، وقال فيه رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض » .

وكان مثله كمثل سيدنا عبد الرحمن بن عوف الذي كان يترع بمئات الجمال وما تحمله في سبيل الله .

كان ابن المبارك يتاجر وكان التراب يتحول في يده إلى ذهب كما يقولون في التجرة الناجح ، وكانت تجارة ابن المبارك نقل الصائغ من مكان إلى مكان . وكان ربحه يأتيه من فرق السعر ، وهذا النوع من التجارة يشبه ما نسميه الآن : الاستيراد والتصدير - وكان بعض الناس يرى ما يشبه التناقض بين الرهد عند ابن المبارك وعمله في الاستيراد والتصدير .

فصلى بن المصلي قال : سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك أنت تأمرنا بالرهد ، والتمل ، وابلعة ، وبراله تأتي بالصائغ من بلاد حراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟ ويرد ابن المبارك على ذلك رداً جميلاً حكيماً منطقياً فيقول :

يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون به وجهي ، وأكرم به عرضي . وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به .

فقال له الفضل : يا بن المبارك ما أحسن ذا ، إن تم ذا ؟ .
وإذا كان بعض التجار يكتز المال ويتسمم بالبحل فقد كان من خلق
عبدالله بن المبارك السخاء .

يقول العباس بن مصعب المروزي : « جمع ابن المبارك الحديث
والفقه ، والعربية ، وأيام الناس والشجاعة والسخاء » .

وكان سخاؤه يشبه الأساطير وكل ما يروى عنه في هذا الباب من
الطرائف الطريفة ، يقول إسحاق بن عياش : « ما على وجه الأرض
مثل عبدالله بن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق حصلة من حصال الخير
إلا وقد جمعها في عبدالله بن المبارك ، ونقد حدثني أصحابي أنهم
صحبوه من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الحبيص^(١) ، وهو الدهر
صائم » .

ويتحدث عن سحائه عمر بن حفص الصوفي - بمبج - فيقول :
حرح ابن المبارك من بعداد يريد المصيصة ، فصحه الصوفية ، فقال
لهم . أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم ، يا غلام هات الطست ،
فألقي على الطست سديلا ثم قال : يبقى كل رجل منكم تحت المنديل
ما معه .

قال فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم والرجل يلقي عشرين فألقى
عليهم إلى المصيصة فلما بلغ المصيصة ، قال . هذه بلاد نصير^(٢) ،
فتقسم ما بقي ، فجعل يعطي الرجل عشرين دينارا ، فيقول :

(١) الحبيص : طعام من الثمر والسم

(٢) بلاد نصير : بلاد حرب .

يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهما ، فيقول : وما تنكر أن يبارك الله للعري في نفقته ؟ ؟ . وكان في رحلاته إلى الحج كأنه هارون الرشيد الذي نصوره ألف ليلة وليلة في البذل والعطاء ، يقول محمد بن علي بن الحسن بن شقيق : سمعت أبي قال : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع عليه إخوانه من أهل مرو ، فيقولون : نصحبك يا أبا عبد الرحمن ؟ .

فيقول هم : هاتوا نفقاتكم ، يأخذ نفقاتهم فيجمعها في صندوق فيفعل عليها ، ثم يكثرى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلا يزال يعق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام ، وأطيب الحلواء ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأجمل مروة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها ؟ فيقول كذا ، فيشتري لهم . ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا وصلوا إلى مكة وقصوا حجهم ، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من ماع مكة ؟ فيقول كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم من مكة فلا يزال يعق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فإذا وصل إلى مرو حصص أولادهم ودورهم ، فب كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وسروا ، دعا بالصدوق فضحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أبي . أحرى حاديه أنه عمل آخر سعة ساهرها دعوة ، فقدم إلى الناس خمسة وعشرين خواتم فالودج .

قال أي : وبلغنا أنه قال للمفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما اتجرت ؟

قال أي : وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم .
ويقول محمد بن عيسى : كان عبدالله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل بالرقعة في خان ، فكان شاب يختف إليه ويقوم بمحادثته ، ويسمع منه الحديث ، قال : فقدم عبدالله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب ، وكان متعجلاً ، فخرج في البقيع ، فلما قفل من عروته ورجع الرقة سأل عن الشاب ، قال فقالوا : إنه محبوس لدين ركه .

فقال عبدالله : وكم مبلغ دينه ؟

فقالوا : عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يستقصي حتى دس على صاحب المال ، فدعا به ليلاً وورث له عشرة آلاف درهم ، وحلله ألا يجبر أحداً مادام عبدالله حياً ، وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس ، وأدبح عبدالله ، فأخرج الفتى من الحبس .

وقيل به : عبدالله بن المبارك كان هاتك ، وكان يذكره ، وقد حرج ، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين ، أو ثلاث من الرقة .

فقال : يا فتى أين كنت ؟ لم أرك في الخان ؟ .

قال نعم يا أبا عبد الرحمن ، كنت محبوساً بدين .

قال : فكيف كان سبب خلاصك ؟ .

قال : جاء رجل فقصى ديبى ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس .

فقال له عبدالله : يا فتى الحمد لله على ما وفق لك من قضاء دينك ،

فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد وفاة عبد الله

وكانت أكثر فقاته على طلبه أهل السنة وعلى الصوفية ، ولقد عوتب مرة في ذلك كما يروى حبان بن موسى قال : عوتب ابن المبارك فيم يفرق المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده ، فأجاب بهذا الرد الجميل : « إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق : طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث ، فاحتجوا ، فإن تركناهم ضاع عليهم ، وإن أعانهم شوا العنم لأمة محمد ﷺ ولا أعزم بعد النبوة أفضل من بث العلم » .

ويرى عن علي بن الحسن بن شقيق قال . بلغنا أنه قال للمصيل بن عياض : لولا أنت وأصحابك ما اتجرت .

قال : وكان يفتق على الفقراء في كل ستة مائة ألف درهم ، ومناقبه وفضائله كثيرة جدًا .

وكان رضى الله عنه . يطعم أصحابه القالودح والخيص . ويظل هو نهاره صائمًا ، وقيل به مرة : قد قل المال فقل من صلة الناس ؟ فقال : إن كان المال قل فإن العمر قد نفذ .

وكان يتحرى دائماً أن يأكل مع الضيف ويقول : بلغنا أن صعام الصيف لا حساب عليه ، قالوا : وكانت سفرة ابن المبارك تحمل على عجلة أو عجلتين .

وقال أبو إسحاق الطائفي : « رأيت بعيرين محملين دحاجًا مشويا لسفرة ابن المبارك » .

وقال المسيب بن واضح كنت عند عبد الله بن المبارك جالسًا إذ كلموه في رجل ينصى عنه سعمائة درهم دينًا فكتب إلى وكيله إذا جاءك كسبي هذا وقرأته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف ،

فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه التفت إلى الرجل فقال أى شيء قضيتك ؟ فقال : كرموه أن يقضى عني سعمانة درهم دين ، فقال : قد أصبت في الكتاب غلطاً ولكن اقعد موضعك حتى أجرى عليك من مالى وأبعث إلى صاحبي فأوامره منك ، فكتب إلى عبد الله بن المبارك . أتاني كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك في سعمانة درهم وهاها مسعة آلاف وإن يكن منك غلطاً فاكتب إلى حتى أعمل على حسب ذلك ، فكتب إليه : إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما فيه فادفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفاً ، فكتب إليه إن كان على هذا الفعان تفعل فما أسرع ما يتبع الصيغة ، فكتب إليه عبد الله بن المبارك : إن كنت وكيي فأفقد ما أمرك به ، وإن كنت وكيك فتعال إلى موضعي حتى أصير إلى موضعك فأفقد ما تأمرني به .

وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : من فاجأ من أخيه المسم فرحة عمر الله له ، فأحيت أن أفاجئه فرحة على فرحة وقال إسماعيل بن عياش : حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم .

وقال داود بن رشيد : كان ابن المبارك عند أبي الأحوص فجاء رسول قلات الهاشمي بعض الولاة فقال : يقرئك السلام ، ويقول : يا أبا الأحوص ! هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا ، وهذه ألف درهم توسع بها عليهم في هذا الشهر ، فقال أبو الأحوص : فعل الله به وفعل ، وقال : قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها .

قال : وانسل ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال : يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها فإني لا آمن أن يكون قد بيع أهدك فيخاصموك وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب ، فقبلها .

وقال ابن كثير : إن ابن المبارك خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه : وتحلف هو ووراءهم فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته به إلى الدار . فجاء فسألها عن أمرها وأحدها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هما ليس لنا شيء إلا هذا الإزار وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة وقد حلت بنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال ، فظلم وأخذ ماله وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لو كي له كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين ديناراً تكفيها وأعطاها الباقي ، فهدى أفضل من حننا هذا العام ثم رجع .

ونختم الحديث في ذلك بما يلي :

حدث مرة - كما يروي سمة بن سليمان - قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقصيه ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيله ، فلما ورد عليه الكتاب ، قال له الوكيل : كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقصيه عليك ؟

قال سبعمائة درهم ، فكتب إلى عبد الله . إن هذا الرجل سألك أن تقضى سبعمائة درهم ، وكتبت له سبعة آلاف درهم وقد فئت العلات فكتب إليه عبد الله : إن كانت العلات فئت فإن العمر أيضاً قد فني

فأوجز له ما سبق به قلعي . وقد سبق ذكر هذه القصة مطولة ،
وهكذا تفسير الحياة بابن المبارك .

إنها جد في جميع جوانبها ، وعمل دائم مستمر ، وقدره الناس
وأحبوه حباً ملك عليهم أفئدتهم ، ومن مظاهر هذا حب ما رواه
شعيب بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين
الرقعة ، فنجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال ،
وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر
الخشب ، فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟

قالوا : عالم من أهل خراسان قدم الرقعة يقال له عبد الله بن المبارك ،
فقالت : « هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا
بالعصا والسياط ، والشرط والأعوان » .

وما من شك في أن صفات ابن المبارك قد هيأته لحب الناس :
كرم وشجاعة وعلم ؛ وإخلاص ، وما شئت فقل من صفات
الخير .

وكان من شأنه تفحيم أصحابه ، يقول عبيد بن جناد :
مارأيت أحداً مثل ابن المبارك إذا ذكر أصحابه فحمهم ، يقول :
« وأين مثل فلان ، ثم يقول الرفيع من يرفع الله بطاعته والوضيع من
وصعه » .

ولهذا يقول عبد الرحمن بن يزيد الجعفي قال الأوزاعي : رأيت
ابن المبارك ؟

قلت : لا ، قال : لو رأيته لقرت عينك .

ويقول محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة : سمعت أبي يقول : قال

بن شعبة : عرفت ابن المبارك ؟ قلت : نعم ، قال . ما قدم علينا من ناحيتكم مثله .

وفي يوم من الأيام ، انتهت الحياة بابن المبارك ، انتهت به في شهر رمضان ، وانتهت وهو منصرف من انغزو ، وكان قد وصل إلى بلدة « هيت » فتوفي بها .

ويقول الحسن بن الربيع : شهدت موت ابن المبارك ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان لعشر مضين منه ، مات سحرًا ودفناه بهت ، وسألت ابن المبارك قبل أن يموت ، قال : أنا ابن ثلاث وستين . وهيت - كما يقول المؤرخون بكسر الهاء ، وسكون الياء المشاة من تحتها ، وبعدها ثاء مشاة من فوقها - مدينة على الفرات فوق الأنبار . أعمال العراق ، لكنها في بر الشام ، والأنبار في بر بغداد ، والفرات يفصل بينهما ، ودجلة تفصل بين الأنبار ، وبغداد ، وقبره صاهر بها يزار .

قال الحسن بن الربيع . سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة واقبل نصير ، يقول : يا أبا عبد الرحمن قل لا إله إلا الله ، فقال له . ينصير ، قد ترى شدة الكلام على ، فإذا سمعتي قلتها فلا تردده على حتى تسمعني قد أحدثت بعده كلاما ، وإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك .

ويقول أحمد بن خالد سمعت الفريابي يقول : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقلت : يا رسول الله ، ما فعل ابن المبارك ؟ فقال : هو مع الذين أجمع الله عليهم من السبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين . وحسن أولئك رفيقا ﴿

ولما بلغ هارون الرشيد موت ابن المبارك ، قال : « مات سيد العلماء » .

وقد رويت لأبن المبارك كرامات كثيرة ، نذكر منها مايلي .
قال أبو وهب : مر عبد الله برجل أعمى ، فقال : أسألك بالله أن تدعوني ، فدعا فرد الله عليه بصره وأنا أنظر .
وقال الحسن بن عيسى : كان عبد الله بن المبارك مجاب الدعوة .

الفصل الثالث الجهاد والمجاهد

المجاهد :

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ
أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ
آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ
فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ (١)﴾ .

ويقول عمر وجل :

﴿وَقَاتِبُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ بَصَّةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ (٢)﴾ .

ويقول سبحانه :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ (٣)﴾
من هذه النصوص القرآنية الكريمة تبين أن الجهاد في الإسلام إنما

(١) النساء : ٧٥-٧٦ .

(٢) البقرة : ١٩٣ .

(٣) البقرة : ٢٤٤ .

هو جهاد من أجل فكرة ، هذه الفكرة هي ما عبر عنه سبحانه :
بسبيل الله وسبيل الله هو الخير والعدل والحق ، فالقتال في الإسلام ،
إنما كان من أجل :

١ - أن يكون الدين كله لله .

٢ - وألا تكون فتنة .

٣ - ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين
لا حول لهم ولا قوة ، الذين يبالغون من عسف الطغاة وبغيهم الشر
الكثير فيصرعون إلى الله سبحانه أن يقدرهم من الظلم .

٤ - ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

وقد يتساءل إنسان : ما هو سبيل الله ؟ وكيف يكون الدين كله
لله ؟

ومن أجل بيان سبيل الله سبحانه نذكر بعض المبادئ الإسلامية
متضمنة في قصص واقعية تصور الرشاد وطريق البنى ، تصور أولياء
الله وأولياء الشيطان :

(أ) من أولى هذه القصص قصة هؤلاء الذين هاجروا بديهم إلى
الحشة ، لم تكن هجرتهم هجرة سياحة يستمتعون فيها بشهواتهم
مليين ذراعى الأهواء ، ولم تكن هجرتهم هجرة بديا يصيبونها ، أو
امرأة يكحونها ، وإنما هاجروا بديهم ولدينهم ، لقد هاجروا حتى
لا يقتسم الطغاة الظالمون ، لقد هاجروا لله وللخلق الكريم ، وللمثل
العليا - إنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فما سافروا بديهم إلى الحبشة ، أرسل القرشيون وفدًا إلى السجاشي فيه عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، لرد المهاجرين إلى مكة ليعذبوه من جديد ، ولما التقى الوفد بالسجاشي قال له عمرو بن العاص :

« إنه قد لجأ إلى بلدك ما علمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا يعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم : من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عياً (أى بصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم » .

فلما سمع السجاشي كلامهم رأى أن من الحكمة - ألا يسلم إليهم المهاجرين دون أن يسمع كلامهم وحجتهم ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فدعاهم ، فمما جاءوا قال لهم .

« ما هذا الدين انذى قد فارقتم فيه قومكم ، وم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ » .

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له :

« أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأثي بالفواحش ، ويقطع الأرحام ، وسيء الحوار ، ويأكل القوى ما الضعيف - فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا - نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ، لنوحده . ونعبده ونحلم ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان .

أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ؛ وصلة الرحم ، وحسن الحوار ، والكف عن المحارم والدماء ، وبهانا عن الفواحش وقول الزور . وأكل

مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... (وعدد عليه أمور الإسلام) .
فصدقناه وآمننا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ؛ ولم نشرك به شيئاً ؛ وحرمتنا ما حرم علينا ؛ وأحللنا ما أحل لنا ...
فعدا علينا قومنا : فذهبونا ، وقتلونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ؛ وأن يستحل ما كنا نستحل من الحيات ؛ فلما قهرونا وظلموا وضيقوا علينا ؛ وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلادك .

ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم بكى الجاشي ثم قال :
إن هذا والدي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » .
ثم التفت إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص فقال لهما :
« انطلقا ، فلا والله لأسلمهم إليكما » .

لقد علم الجاشي ، فور سماعه المبادئ الإسلامية :
أن هذه المبادئ حق ، وأنها آيات بينات لا يخفى صدقها على أصحاب المقطر السليمة ؛ وعلم أن ما أتى به محمد ﷺ : إنما يصدر من أسبع الديق كانت تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام .
وسبيل الله كما صوره سيدنا جعفر : توحيد الله وعبادته وحده ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحرم والدماء ، وإقام الصلاة ، وأداء الزكاة ، والصيام والانتعاد عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

أمر سبل الشيطان فهو : عبادة الأصنام ، عبادة الشهوة ، والسيطرة ، والاستعلاء ، واستعباد الآخرين وإخراج الآمين من ديارهم بغير حق . وسبيل الشيطان : إثيان العواشش ، وقطع الأرحام : وإساءة الجوار . وأن يأكل القوى الضعيف .

وسبيل الشيطان أيضاً : قول الزور ، وإشاعة الأكاذيب والعش بكل صرقه وأساليبه ، وأكل مال ايتيم ، وقذف المحصنات .

(ب) وإذا أردنا تصويراً آخر لسبيل الله - في إحماله وعمومه - حسبما رآه أحد حكماء العرب - وم يكن قد أسلم - وهو أكرم بن صيفي فإننا - تصويراً للأمر في واقعه - نذكر القصة التالية :

لما ظهر النبي ﷺ مكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكرم ابن صيفي إليه « حبشاً » فأتاه بخبره ، فجمع بني تميم ، وقال لهم - فيما قال إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره ، وكتابه : يأمر بالمعروف ، ويهني فيه عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وحلج الأوثان ، وترك الحلف باليران ، وقد حلف (عرف) ذوو الرأي منكم . أن الفصل فيما يدعو إليه ، وأنه الرأي ، ترك ما يهني عنه .

ثم يقول هذه الكلمات الرائعة :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً ، لكان في أخلاق الناس حسناً » .

وسبيل الله كما رآه أكرم :

توحيد الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بمحاسن الأخلاق .

وكلمة : الأخذ بمحاسن الأخلاق ، كلمة جميلة جمعت فاستعرفت وشملت فعمت .

أما كلمته الرائعة حقاً السامية حقاً ، العجيبة في صدقها وإيجازها وفصاحتها فهي قوله :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً ، لكان في أخلاق الناس حسناً » .

(ج) على أن أبا سفيان قبل إسلامه ، وقد كان عدواً لدوداً للإسلام لم يستطع أن يكر أن محمداً ﷺ إنما يدعو إلى :

الصلاة والزكاة والصلة (صلة الأرحام ، وصلة المؤمنين ومودنتهم) والعفاف ، لقد أعلن أبو سفيان ذلك في ملائمة من الأَشْهاد رداً على سؤال هرقل كما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه .

(د) وسبيل الله هو ما رسمه الله سبحانه ، وأنزل على رسوله ﷺ ، فكان قرآننا ، وكان سنة .

وسبيل الله بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة يتبدور ويتمركز في :

١ - التوحيد في مجال العقيدة ٢ - الرحمة في المجال الأخلاقي

٣ - العدل في مجال التشريع .

يعول سبحانه وتعالى في العقيدة :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)^(١) .

(١) الأنبياء الآية ٢٥

ویدکر سبحانه من شواهد ذلك على لسان سيدنا هود .

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الْبَرِّ فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُخْرِبِينَ﴾ (١)

وعلى لسان سيد، صخ :

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٢)

وعلى لسان سيدنا شعيب :

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمْ بِحَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٣)

ويقول عز وجل موضحاً سسله أمراً ونهيًا :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ دِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّعْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤)

(١) هود : ٥٠-٥٢

(٢) هود : ٦١

(٣) هود : ٨٤

(٤) النحل : ٩٠

ويقول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِهَتَّانٍ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) .

ويقول سبحانه :

﴿قُلْ نَعَالُوا أَمَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَمِينِ أَوْ حَسَنٌ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُضِيَتْ قَاعِدِلُوا وَلَوْ كَانَ دَا قَرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ نَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ • وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) .

ويحمل رسول الله ﷺ رسالته في قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وما من شك في أن مكارم الأخلاق :

في الاعتقاد : التوحيد .

وفي التشريع : العدل .

(١) المصحف ، ١٢٠

(٢) الأنعام ١٥١ - ١٥٣ .

وفي الأخلاق : الرحمة .

وحينما يتحدث الرحمن الرحيم ؛ الدود القريب المحيى ، عن
بواعث الرسالة الإسلامية عن حكمتها ، عن طابعها ، عن سماتها العامة ،
عن سماتها الخاصة فإنه سبحانه يعلنها : رحمة
يقول سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

هذا هو سبيل الله ؛ وهذا هو جوهر الرسالة ، التى كتبت الأمة
الإسلامية بالإيمان بها والتبشير بها والقيام عليها ، وتدعيمها فى
الأنفس والآفاق .

* * *

والجهاد فى الإسلام ، جزء من الدين ، وسمة من سماته ، وطابع
له ، وإذا ما تركته الأمة الإسلامية فقد بركت الدين ، يقول رسول
الله ﷺ فيما رواه أبوداود عن عبد الله بن عمر : « وإذا تركتم
الجهاد سقط الله عبيكم دلاً لا يبرعه عكم حتى ترجعوا إلى دينكم » .
وترك الجهاد إذاً يستتبع الدل ، والعودة إليه إنما هى عودة إلى
الدين بعد الانحراف عنه بترك الجهاد .

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم ، عن أبى هريرة
رضى الله عنه : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على
شعبة من النفاق » .

ولقد سئل رسول الله ﷺ - فيما رواه الشيخان . عن أفضل
الأعمال فقال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » .

(١) الأنبياء . ١٧ .

ولعلنا نسمس من هذه الأحاديث الشريفة الأهمية الكبرى للجهاد في الإسلام ، وهذه الأهمية هي التي جعلت الإسلام يهتم بالصغير والكبير من شئونه .

ولقد بين الله سبحانه أهدافه وغاياته

أولا يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا نَكُم لَّا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الطَّامِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّن مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ (١) .

وبين سبحانه ثانيًا : أن الشحاعة لا تقصر الأجل وأن الحن لا يطيل الأجل وددك أن الأجل محدودة ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْنُهُمْ لَّا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ (٢) .

وبين سبحانه ثالثًا : أن التفرع للقتال لا يصرف عن الإنسان الرزق ؛ فابرر مضمون ، قد ضمه الله تعالى ؛ وأقسم سبحانه على ذلك ، وهذا حتى لا يغمر القلق أقصار النفس من أحل الرزق .

وبين سبحانه رابعًا : أن الاستعداد في التحلف عن الجهاد يسمى مع لإيمان ، بل يتعارض معه ، بل يتهى الإيمان عند التحلف مع القدرة ، قال تعالى :

(١) النساء : ٧٥ و ٧٦ .

(٢) الأعراف : من الآية ٣٤

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الدِّينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(١) .

وبين سبحانه خامساً . أن موالة^(٢) الأعداء كفر :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ . وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) .

أما إذا انتهى الجهاد إلى الاستشهاد فالمصير الجنة والقرب من الله ، وهي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد في الآخرة ، مكتفى منها بالآية الكريمة التي يتمنى كل مؤمن أن يكون ممن تشملهم . يقول تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبِ الدِّينَ قُتُلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسَبِّحُونَ بِاللَّيْلِ م يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ حَتَمِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) .

(١) التوبة : ١٤ و ١٥

(٢) المراد بالموالة لها : الاتباع ونهاية .

(٣) المجادلة : ٢٢ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

وَأَمَّنَ اسْلَمُونَ بهذه الرسالة وَأَصْبَحَ إِيمَانُهُمْ بِهَا جُزْءًا مِنْ ذَاتِهِمْ ،
فَانْدَفَعُوا يَشْرُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَتَبَاعَ الْجِهَادُ ، وَكَانَ مِنْ
بَيْنِ مَنْ بَيَّأُوا بِدَاءِ الْإِيمَانِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ .

وَكَمَا كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فَصِيحًا مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ : وَكَمَا كَانَ مَثَنًى فِي
الْمُحَدِّثِينَ مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّاسِ : وَكَمَا كَانَ تَاجِرًا نَاجِحًا : ... فَإِنَّهُ
كَانَ مُجَاهِدًا بَطْلًا .

عَنْ أَبِي حَارِمٍ الرَّارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ - يَعْنِي الْمُرُوزِيَّ -
يَقُولُ كُنَّا بِي سِرِّيَّةٍ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، فَصَادَفَنَا
الْعَدُوُّ ، فَلَمَّا انْتَفَى الصُّبْحَانِ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فِدْعًا إِلَى الْبَرَارِ ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَتَلَهُ ؛ ثُمَّ دَعَا إِلَى الْبَرَارِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَطَارَدَهُ سَاعَةً
فَقَطَعَنهُ فَقَتَلَهُ . فَازْدَحَمَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ أَرْدَحَمَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ
يَلْتَمِسُ وَجْهَهُ يَكْمَهُ فَأَخَذْتُ بِصُرْفِ كَمِهِ فَمَدَدْتُهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْمُبَارَكِ ، فَقَالَ : وَأَنْتِ يَا أَبَا عَمْرٍو مِمَّنْ يَشْعُرُ عَيْبًا .

وَالْحَدِيثُ دَائِمًا يَتَدَاوَلُ عَنْ الْمَوَارَةِ بَيْنَ الْعَابِدِ وَالْمُجَاهِدِ ؛ وَالْوَاقِعُ
أَنَّ الْمُجَاهِدَ عَابِدٌ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادِ ، وَلَقَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ عَنْ
أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ : فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْحَارِيُّ - « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ
وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » .

وَلَقَدْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، دَاخِلٌ يَوْمَ بَعْثِ مَاءِ
عَدْبَةَ فَأَعَجَبَتْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَقِيمَ بِحَوَارِهَا يَعْبُدُ اللَّهَ ، وَيَعْتَرِلُ النَّاسَ ، أَرَادَ
أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْحُلِيِّ بِحَوَارِ الْعَيْنِ يَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، وَيَأْكُلُ مِنْ
أَسْنَانِهَا الَّتِي نَسَتْ حَوَارِهَا ، وَيَمْكُثُ رَاضِي الْفُسْ هَادِي الْبَالِ ، ثُمَّ

قال لنفسه : لن أعمل حتى أستاذ رسول الله ، وذكر لرسول الله ﷺ ، ما دار بجلده ، فقال له ﷺ : « لا تفعل بين مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يعفر الله لكم ويدخلكم الجنة : أغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله ، فوافق ناقة وجبت له الجنة » .

وعلى هذا السق يحاص ابن المبارك بالشعر المتكفير في المساجد لعبادة فيقول :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيله بدموعه	فحورنا بدمائنا تتحضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فحيرنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابل والعبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى ^(١) غبار حيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

ولقد كان ابن المبارك منعمًا في الجهاد إلى درجة أن كثيرًا من كانوا يحبون أن يستمعوا منه كانوا يذهبون إليه فيجدونه في العزو .

يقول أبو عبد الله . ذهبت لأسمع منه فلم أدركه ، وكان قدم فخرج إلى الثغر فلم أسمع منه ، وم أراه .

(١) هكذا أوردت ريبس ثلاثم لورن ريبس أن يوضع مكانها لا يجمعان . أو لا يستقيم .

ولقد حتم الله حياة ابن المبارك بالجهاد ، فإنه قد أدركته الوفاة وهو عائد من الجهاد ، يقول ابن سعد : « توفي بهيت في شهر رمضان منصرفه من الغزو » .

وبعد وفاة ابن المبارك رآه بعضهم فيما يرى النائم ، ومن هؤلاء محمد بن الفضل بن عياض قال : « رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت : أي الأعمال وجدت أفضل ؟ » .

قال : الأمر الذي كنت فيه .

قلت : الرباط والجهاد ؟ .

قال : نعم .

قلت : وأي شيء صنع ؟ :

قال : غفرت لي مغفرة ما بعدها مغفرة ، وكلمتني امرأة من أهل الجنة ، أو امرأة من الحور العين .

وعن صخر بن راشد قال : رأيت عبد الله بن المبارك في منامي بعد موته ، فقلت :

أليس قدمت ؟ قال : بلى .

قلت : فما صنع بك ربك ؟ .

قال : غفرت لي مغفرة أحاطت بكل ذنب .

قلت : فسيان الثوري ؟ قال : بح ، بح ، داء ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾^(١) .

(١) النساء : من الآية ٦٩ .

ولم يكن ابن المبارك يقوم بالجهاد واقعياً فحسب ، وربما كان يعمل بسيفه ، ويستحث على الجهاد بلسانه ، يكتب عنه بقبضه .

لقد ألف في الجهاد كتاباً مستقلاً ، يقول عنه « حاجي خليفة » . « وهو أول مؤلف ألف فيه » .

ولقد حقق الأستاذ بربه حماد هذا الكتاب تحقيقاً متقناً جليلاً ، ونشرته دار النور ببيروت في صورة حسنة .

والكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث عن الرسول ﷺ ، ومن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، وبعض أقوال التابعين - وهذه الأحاديث والروايات مشور بعضها في كتب الطبقات كاخلية وغيرها من الكتب التي أنفت عن ابن المبارك ، واكتب التي ألفها ابن المبارك . ومن كتاب الجهاد نقتطف مايلي :

روى ابن ابارك بسنده عن^(١) : محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾^(٢) فقال : ثامهم الله فأغلى هم .

وعن عتبة بن عبد السلمي - وكان من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « انفتلى ثلاثة رجال : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي لعدو قاتلهم حتى يقتل ذلك الشهيد المعتص ، في حيمة لله تحت عرشه ، لا يفصله النيبون إلا بدرجة

(١) هذه الكلمة ٥٠ روى ابن المبارك بسنده « يعتبرها صاحبة نكل حديث يلو .
ولسا في حاجة إلى تكرارها .
(٢) التوبة : الآية ١١١ .

النسوة ، ورجل مؤمن قارب على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يمتلئ ، فذلك مصمصة^(١) تحت ذنوبه وخطايه ، إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أبواب الجنة شاء ؛ فإن لها ثمانية أبواب ، ولحهم سبعة أبواب ، وبعضها أسفل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذلك هي النار ، إن السيف لا يمحو النفاق » .

وعن عبد الله بن عمر قال : الساس في الغزو جزاءان : فجزء خرجوا يكثررون ذكر الله والتذكير به ؛ ويحتبون الفساد في المسير ويراسون الصاحب ، ويعصون كرائم أموالهم ؛ فهم أشد اعتناطاً بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم ؛ وإذا كانوا في مواطن القتل استحيوا من الله في تلك المواطن أن يطع على رية قلوبهم ؛ أو حذلان للمسلمين ؛ فإذا قدروا على العول ، طهروا مه قلوبهم وأعمالهم ، فلم يستطع الشيطان أن يعتهم ، ولا يكلم قلوبهم ، فهم يبرز الله دينه ، ويكبت عدوه .

وأما الجزء الآخر : فخرجوا فلم يكثرُوا ذكر الله ولا التذكير به ؛ ولم يحتسوا الفساد ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون ، وما أنفقوا من أموالهم رأوه محرماً وحزبهم به الشيطان ؛ فإذا كانوا عند مواطن لقتال كانوا مع الآخر الآخر ، والخاذل والخاذل ؛ واعتصموا برءوس

(١) مصمصة مصمص إثناء حرك فيه الماء ليظف ، وفي القاموس المحيط (من حديث المروغ عن عته بن عبد الله - القتل في سبيل الله مصمصة الذنوب أي مطهرة من دس الخطايا ، وإنما أتت لأن القتل بمعنى الشهادة .

الجل . ينظرون ما يصنع الناس : فإذا فتح الله للمسلمين ، كانوا أشدهم تخاطبًا بالكذب ؛ فإذا قدروا على الغلول ، اجتروا فيه على الله ، وحدثهم الشيطان ، أنها غنيمة ؛ إن أصابهم رخاء بطروا ؛ وإن أصابهم حبس ؛ فتتهم الشيطان بالعرض ؛ فليس لهم من أجر المؤمنين شيء ، غير أن أجسادهم مع أجسادهم ، ومسيرهم مع مسيرهم ، ديارهم وأعمالهم شتى ، حتى يجمعهم الله يوم القيامة ثم يفرق بينهم) .
وعن أبي هريرة يقول ، قال رسول الله ﷺ : « راحة في سبيل الله أو عدوه خير من الدنيا وما فيها ، أو ما عبيها » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتي - أو قال : على الناس - لأحببت ألا أتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ، ولكي لا أجد ما أحملهم عليه ، ولا يحدون ما يحملون عليه ، ولشق عليهم أن يتحنفوا بعدى أو نحو ، ولوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ، ثم أحيى ثم أقتل ، ثم أحيى ثم أقتل » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع عار في سبيل الله ودخان جهنم في منحري عبد مسلم أبدًا » .

وعن أبي مصبح الحمصي قال : سمنا نحن بسير بأرض الروم في صائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي ، إذ مر مالك بجابر بن عبد الله وهو يمشي يقود بعلا له فقل له مالك : أي أبا عبد الله ، اركب فقد حملك الله

فقال جابر : أصلح دابتي وأستغنى عن قومي ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أعبرت قدمه في سبيل الله حرمه الله على النار » ،

فأعجب مالك قوله ، وسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت ،
باداه بأعلى صوته : أي أبا عبد الله ، اركب فقد حمدك الله ، فحرف
جابر الذي أراد ، فأجابه ، فرفع صوته فقال : أصبح دابتي ، وأستغنى
عن قومي .

وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه في سبيل الله
حرمه الله على النار » .

فتواب الناس عن دابهم ، فما رأيت يوماً أكثر ماشياً منه .

وعن أبي الأحسن ، أنه قال : بلغني أن أبا ذر قال :

ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشوهم الله ، فنفقته فقلت :

يا أبا ذر ما حدثت ؟ بلغني عنك ما تحدث به عن رسول الله ﷺ ،
أحببت أن أسمعه منك . قال : ما هو ؟

قلت : ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشوهم الله .

قال : قلته وسمعته .

قلت : فمن الذين يحبهم الله ؟

قال : رجل كان في فئة أو سرية ؛ فأنكشف أصحابه ، فصب
نفسه ونحره حتى قتل أو يفتح الله عليه .

ورجل كان مع قوم في سفر ، فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن
يمسوا الأرض فنزلوا ، فقام ، فتنحى حتى أيقظ أصحابه للرحيل .

ورجل كان له جار سوء فصبير على أداه حتى يفرق بينهما موت
أو ظعن .

قلت : هؤلاء يحبهم الله فمن الذين يشوهم ؟ قال :

التاجر الخلاف ، أو البياع الخلاف ، والبحيل الخناد ، والفقير المحال . »

وعن ابن وائل قال : لما حصر حالد بن الوليد الوفاة ، قال :
لقد طلست القتل مطانة ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ،
وما من عمل شيء أرجى عدي بعد لإله إلا الله من ليلة بتها وأنا
متترس بهرسي والسماء تهدي ، منتظر الصبح حتى يعبر على الكفار
ثم قال : إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل
الله . فمما توفي ، خرج عمر على جنازته ، فذكر قوله : ما على ساء
أبي الوليد أن يسفحن على حالد من دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقنقة .
قال ابن البخار . « النقع ، التراب على الرأس . والمقلقة :
الصوت » .

وعن القاسم والحكم أن حارثة بن العمان أتى رسول الله ﷺ
وهو ياجي حريل ، فجلس ولم يسلم فقال حريل : « يا رسول الله ،
أما أن هذا لو سلم لرددنا عليه ؟ »
قال : وهل تعرفه ؟ .

قال : نعم هذا من الثمانيين الذين صبروا معك يوم حبر أررقهم
وأوراق أولادهم على الله في لحة » .
وعن يحيى بن أبي كثير أن رسول الله ﷺ قال :
« من وضع رجله في ركانه فاصلا في سسل الله فلدغته هامة أو
وقعته دابة ، أو مات بأي حطب مات ، فهو شهيد » .
وعن أبي هريرة قال : « أيسطيع أحدكم أن يقوم فلا يفصر ؟ ويفصم
فلا يفصر ما كان حيا ؟ »

فقيل له : يا أبا هريرة ، ومن يطيق هذا !

فقال والذي نفسي بيده إن يوم المجاهد في سبيل الله أفصل منه .

وعن سعيد بن أبي هلال أن سليمان بن أبان حدثه « أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن حيشمة وأبوه أن يخرجوا جميعاً ، فدكروا ذلك للنبي ﷺ فأمرها أن يخرج أحدهما فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقال أبوه : آثرى بها يا بني ، فقال يا أبت ، إنها الجعة ، لو كان غيرها آثرتك به - فخرج سعد مع النبي ﷺ ، فقتل يوم بدر ، ثم قتل حيشمة من العام المقبل يوم أحد .

وعن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ .

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله .

قال : وخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعداً جريحاً قد أثبت بأخر رمق .

فقال : يا سعد إن رسول الله ﷺ ، أمرى أن أتفكر به أمس الأحياء أنت ، أم هي الأموات ؟

قال : فإني في الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ صلى السلام ، وقل له إن سعداً يقول لك : جزاك الله عما حير ما جرى بيّاً عن أمته ، وأبلغ قَوْمَكَ عني السلام وقل هم : إن سعداً يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى بيكم وفيكم عين تطرف .

وعن جابر بن عبد الله قال :

لما أراد معاوية أن يحرق الكظامة^(١) ، قال : قين من كان به قتيل
فليأت قتيله - يعنى قتلى أحد - قال :
فأخرجاهم رطابا يشنون .

قال فأصابته اسحابة أصبغ رجل منهم فانفطرت دما قال أبو سعيد
الخدري . ولا يسكر بعد هذا مكر أبدا .
وعن جرير بن حارم قال - سمعت الحسن يقول :

لما حصر الناس باب عمر وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن
حرب وتلك الشيوخ من قريش ، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر
لصهيب وبلال وأهل بدر وكان والله بدريا وكان يحبهم وكان قد
أوصى بهم فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم قط إنه يؤذن لهذه العبيد
ونحن جلوس لا يلتفت إلينا .

فقال سهيل بن عمرو . ويا به من رجل ما كان أعقله ، أيها القوم
إني والله لقد أرى الدي في وجوهكم ، فإن كنتم عضابا على أنفسكم ،
دعى القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله سبقوكم به من الفضل
فيما لا ترون أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذي تافسونه عليه

ثم قال : أيها القوم : إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون فلا سبيل
لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، وانظروا هذا الجهاد فانرموه عسى أن
يرزقكم شهادة ثم نفى ثريه فلحن بالشام . فقال الحسن . صدق
الله . والله لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه

وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة قرأ هذه الآية . ﴿انفروا حفاة﴾

(١) الكظامة . بانكسر هم الوادي أو محرق الماء في باص الأرض

وَقَدْ لَأَمَّ^(١) إِيحَ الْآيَةَ . فَقَالَ : أَمَرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَاسْتَعْمَرَنَا
 شَيْوَحًا وَشَبَانًا ، جَهْرَوِي فَقَالَ بَوَه . يَرْحِمُكَ اللَّهُ قَدْ عَرَوْتَ عَلَى عَهْدِ
 النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَى بِكَرٍ وَعَمَرَ فَحَسْ نَعْرُو عَيْكَ الْآنَ . فَعَرَا الْبَحْرَ ، فَمَاتَ ،
 فَطَمَسُوا جَرِيرَةَ يَدِهِ . فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَمَا تَغْيِيرُ .
 وَعَنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ حَبِيفَةَ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ : « انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَوْمِ
 أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي ، وَمَعِيَ شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ :
 إِنْ كَانَ بِهِ رِمَاقٌ^(٢) سَقَيْتُهُ مِنْ الْمَاءِ وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ
 يَشْخُ^(٣) ، فَقُلْتُ أُسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ . فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آه !
 فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ هَشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرُو بْنِ
 الْعَاصِ فَأَتَيْتُهُ .

فَقُلْتُ . أُسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آه ! فَأَشَارَ هَشَامُ أَنْ انْطَلِقَ
 بِهِ إِلَيْهِ فَحَتَّتَهُ إِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هَشَامٍ إِذَا هُوَ قَدْ
 مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِّي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ » .

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ قَالَ : لَنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا
 لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ *
 إِنَّ الَّذِينَ يَبْغُونُ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيحَ الْآيَةَ ، قَالَ .

(١) التوبة : الآية ٤١ .

(٢) نمرى : فيه الحياة والرماء قليل يحصل الرمي وعلى هذا فكلمة الرمي أنسب
 بمعنى

(٣) يشخ : يشفق حتى يكاد يمشى عليه .

(٤) الحجرات : الآيات ٢ و ٣

فَقَعَدَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ ، وَقَالَ : لَا أُرَانِي إِلَّا كَيْتَ أَرْفَعُ الصَّوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِنْ شِئْتَ عَلِمْتَ لَكَ عِلْمُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَتَاهُ ، فَوَجَدَهُ مَكْسُورَ الْوَجْهِ ، فَقَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اِفْتَعَلَكَ وَسَأَلَ عَنْكَ . فَقَالَ : إِنِّي كَيْتَ أَرْفَعُ الصَّوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغْتُ هَذِهِ الْآيَةَ ، وَبِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ ، قَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ : فَأَتَاهُ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ بِبَشَارَةِ عَظِيمَةٍ ، فَقَالَ لَهُ . إِنَّكَ بَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ حَشِيتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ .

قَالَ : وَلَمْ ؟

قَالَ : نَهَانَا اللَّهُ أَنْ نَتَّحِمَ بِمَا نَفْعَلُ ، وَأَجِدُنِي أَحَبَّ الْحَمْدِ .

وَنَهَانَا عَنِ الْخِيَلَاءِ ، وَأَجِدُنِي أَحَبَّ الْجَمَالِ .

وَنَهَانَا تَبْرُكُ وَتَعَالَى أَنْ نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِكَ ، وَأَنَا أَمْرٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا ثَابِتٍ ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا وَتَقْتُلَ شَهِيدًا وَتَدْخُلَ اللَّهُ الْجَنَّةَ ؟ .

قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَعَاشَ حَمِيدًا ، وَقُتِلَ شَهِيدًا يَوْمَ مَسِيلَةِ الْكَدَابِ .

وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي سُوْدَةَ ، قَالَ : بَلَعْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾

السَّابِقُونَ^(١) قال : أوهم روحًا إلى المسجد ، وأولهم خروجًا في
مسيل الله عز وجل .

وعن أبي عتبة الخولاني أنه كان يومًا في مجلس خولان في المسجد
جالسًا ، فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربًا من الطاعون ، فقال :
إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما كنت أرى أن أبقي حتى أسمع مثل
هذا أفلا أحبركم عن حلال كان عليها إخوانكم ؟

أولها : لقاء الله عز وجل كان أحب إليهم من الشهد .

والثانية : لم يكونوا يحفون عدوًا قوا أو كثروا

والثالثة . لم يكونوا يخافون عورًا من الدنيا وكانوا واثقين بالله عز
وجل لك يرزقهم .

والرابعة . إن برل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى قصى الله فيهم
ما قضى .

وعن عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله عز وجل ثلاثًا ، فأعطاني
اثنين وأنا أنتظر الثالثة .

سألت أن يزهدني في الدنيا ، فما أبالي ما أقل منها وما أدير .

وسألت أن يقويني على الصلاة ، فرزقني منها .

وسألت الشهادة ، فأنا أرجوها .

وعن أنعلاء بن هلال الناهلي : أن رجلا من قوم صلة قال لصلة :
يا أبا الصهباء ، إني رأيت أني أعطيت شهادة ، وأعطيت أنت شهادتين ،
فقال له صلة : حبرًا رأيت ، تستشهد وأستشهد أنا واسي .

(١) الواقعة . الآية ١٠

قال فلما كان يوم يريد بن زياد ، لقيهم الترك بسجستان ، فكان أول جيش انهرم من المسلمين ذلك الجيش .

فقال صلة لابنه : يا بني إني أملك . فقال : يا أبت أتريد الخير لنفسك وتأمري بالرجعة ؟ أنت والله كنت خيراً لأمي مني .

قال : أما إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب . فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلاً رامياً حتى تفرقوا عنه وأقبل يمشي حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل .

وعن معاذة امرأة صلة قالت : لما جاءها نعي زوجها وابنها وأنه قدمه بين يديه وقال لابنه تقدم فأحتسبك ، فقتل (١/٢٦) ، ثم قتل الأب . فلما جاءها نعيهما ، جاء النساء ، فقالت : « إن كسن جئس لتهنتنا بما أكرمنا الله به فذلك ، وإلا فارجعن » .

وعن ثابت قال : وكان صلة يأكل يوماً ، فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك

فقال : هيهات ، قد نعي إلي ، اجلس .

فقال الرجل : ما سقتني إليك أحد ؟

فقال : قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(١) .

وعن جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول : قال رجل من أهل

البادية لعمر . يا حير الناس ، يا حير الناس . فقال . ما يقول ؟ .

قيل : يقول يا خير الناس .

(١) الزمر - الآية ٣٠ .

قال : ويحكم ، إني لست بخير الناس .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، إن كنت لأرأى خير الناس .

قال : أفلا أخبرك بخير الناس ؟

قال : بلى .

قال : فإن خير الناس رجل بلغه الإسلام ، وهو في داره وأهله وماله ، فعمد إلى صرمة^(١) من إبله ، فحدرها إلى دار من دور الهجرة فباعها ، فجعل ثمنها عدة في سبيل الله عز وجل ، فجعل لا يصح ولا يمسي إلا وهو بين يدي المسممين وبين عدوهم ، فذلك خير الناس .
قال : يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل البادية ، وإن لي أشعالا ، وإن لي ، وإن لي ، فأمرني بأمر يكون لي نفع ، وبلغ به .

فقال : أرني يدك فأعطاه يده .

فقال : تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت وتعتصر وتسمع وتطيع ، وعليك بالعلانية ، وإياك والسر وعليك بكل شيء إذا ذكر أو بشرم تستح منه ، وم يفضحت ، وإياك وكل شيء إذا ذكر وبشر استحيت منه وفضحت .

فقال يا أمير المؤمنين : أفأعمل بهذا ، فإذا لقيت ربي عز وجل قلت أمرني بهن عمر ؟ .

قال حذره ، فإذا لقيت ربك عز وجل فقل ما بدا لك

(١) الصرمة بكسر الهمزة من إبل ما بين العشرة إلى الأربعين

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده فيض من الناس فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله ، أى الناس خير منزلة عند الله عز وجل بعد أنبيائه وأصفيائه ؟ .

قال المجاهد فى سبيل الله عز وجل بنفسه وماله حتى تأتیه دعوة الله عز وجل وهو على متن فرسه أو آخذ بعنانه .

قال : ثم من يا بى الله ؟ قال فحط يده وقال .

امرؤ باحیة يحس عبدة الله عز وجل ويدع الناس من شره

قال : فأى الناس شر منزلة عند الله عز وجل ؟ .

قال : المشرك بالله .

قال : ثم ؟ قال : ذو سلطان جائر ، يجور عن الحق ، وقد مكس له .
عن المبارك بن فضالة عن الحسن أنه سمعه يقول فى قول الله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(١) إلح الآية ، قال .
أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يتركوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء ، وأمرهم أن يصابروا الكفار ، وأن يربطوا المشركين .

وعن أبي صالح الحمصي أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة أقواما يمرون على الصراط كهيئة الريح ، يس عليهم حساب ولا عذاب ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : أقوام يدركهم موتهم فى الرباط . »

(١) آل عمران ٢٠٠ الآية

وعن أبي عمران الأصباري أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة أعين لا تحرقهم النار أبداً ، عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت بكتاب الله ، وعين حرصت في سبيل الله عز وجل » .

وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان أن رجلاً قال يوم صعين .
اللهم العن أهل الشام .

فقال علي : لا تسبوا أهل الشام جما غفيراً ، فإن فيهم قوما هم كارهون لما ترون ، وإن فيهم الأبدال .

وعن أبي قلابة ، قال رسول الله ﷺ . « لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله عز وجل بشيء إلا استجيب ، بهم تصرون ، وبهم تعطرون وحسبت أنه قال : وبهم يدفع عنكم » .

وعن محاهد يقول : صحبت ابن عمر لأخدمه ، فكان يخدمني .
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا المهن ، فإن احتاج الرجل إلى مهنته انتفع به .

قال : وحدثنا أشياخنا أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول : ليرفع أحدكم ثوبه ويصلحه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق به .

وعن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادهم ، قال : فخرج في الرعي في يوم حار ، فأتاه بعض أصحابه ، فإذا هو بالعمامة تصه ، وهو نائم فقال أنشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو ألا يخبر به .

وعن بلال بن سعد عن رأي عامر بن عبد قيس بأرض الروم على بعلة يركبها عقبة رحمل المهاجرين عقبه .

وقال بلال بن سعد وكان إذا فصل عاريا وقف يتوسم ارفاقه ،
فإذا رأى رفقة توافقه قال . يا هؤلاء ! إني أريد أن أصححكم على أن
تعطوني من أنفسكم ثلاث خصال فيقولون ما هي ؟

قال : أكون لكم حادما لا يازعني عني أحد منكم الخدمة ،
وأكون مؤدبا لا يارعي أحد منكم الأذان ، وأنفق فيكم بقدر طاقتي ،
فإذا قالوا نعم ، انضم إليهم ، فإن بارعه أحد منهم شيئا من ذلك ،
رحل عنهم إلى غيرهم .

وعن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يرافق أصحابه في السفر رفقا ،
فجعلت رفقة منهم يهرمون^(١) يرجل منهم قالوا : يا رسول الله ، ما رأينا
مثه ، إن نزل فصلاة ، وإن ارتحل فقراءة وصيام لا يفطر - فقال
رسول الله ﷺ : من كان يكفيه كذا ؟

قالوا : نحن .

قال : كلكم خير منه .

وعن شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد
الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ :
« خير الأصحاب عند الله عز وجل خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران
عند الله عز وجل خيرهم لجاره » .

وعن عبد الله بن عمر يقول : طوبى للغرباء الذين هم صالحون
عند فساد الناس .

(١) قال ابن الأثير يهرمون مصعبهم ، أي يملحونه ويعطونهم في الثناء عليه
(النهاية ٢٤٧/٤) .

وعن أبي بكر الصديق يقول . إن دعوة الأخ في الله عز وجل مستجابة .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بلغ عمر بن الخطاب رضي عنه أن أبا عبيدة حصر بالشام ، وتألب عليه العدو ، فكتب إليه عمر : سلام عليكم ، أما بعد .

فإنه ما نزل بعيد مؤمن من مرة إلا جعل الله عز وجل بعدها رجلاً ، ولن « يعلب عسر يسرين » .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِضُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) .

قال فكتب إليه أبو عبيدة سلام ، أما بعد :

أب الله عز وجل يقول في كتابه^(٢) : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا نَعْتٌ وَلَهْوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أُنْعِمَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ .

قال فخرج عمر بكتابه مكنه ، ففقد على المبر ، فقرأه على أهل المدينة ، فقال : يا أهل المدينة ! إنما يعرض بكم أبو عبيدة ، أو أن ارغبوا في الجهاد .

وعن أبي نجيع السلمى ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الحديد .

« من شاب شية في سبيل الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لولا ثلاث ، لولا أن أسير في سبيل الله عز وجل ، أو يغير جيبى في السجود ، أو أقاعد قومًا ينتقون طيب الكلام كما ينتقى طيب التمر ، لأحييت أن أكون قد لحقت بالله عز وجل .

وعن ابن عمر يقول : لسفرة في سبيل الله عز وجل أفضل من خمسين حجة .

وعن مكحول ، قال قال رسول الله ﷺ : « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويحلكم الحجة ؟ » قالوا : بلى . قال : فاغزوا في سبيل الله عز وجل » .

وعن عبد الله بن قيس قال سمعت أبي يقول وهو بحصرة العدو ، قال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف : مقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقوله ؟ قال : نعم . قال : فحذاء إلى أصحابه ، فقال : اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ثم مضى بسيفه قدماً ، يضرب به حتى قتل » .

الفصل الرابع

المحدث و الحديث

المحدث :

سبق أن كتبنا عن السنة ما يلي :

إن السنة دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقاً ، فيحشر مع التبيين والصديقين والشهداء .

وإلى العامل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن

يتقنه

وإلى الصانع أن يودى العمل كما يجب ، حيث أحد الأجر ، ومن

أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهى دعوة إلى الأب باعتباره أباً ، وإلى الأم هى وضعها كأم ، وإلى

الأخ هى مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع أن يوعى كل

مهم ما وكل إليه من أمر رعيته ، لأنه مسئول عن رعيته ، « وكلكم

راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وهى دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ؟

وإلى الصديق ، وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً

وإلى الرحمة . الرحمة العامة الشاملة ، وصلوات الله وسلامه على

من قال : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .
وحدى خلق كريم تنمى أن يسير عليه المجمع . فسجد فى
السنة دعوة إليه برسيلة وبأخرى ، وبثالثة .
وهى فى هذه الدعوة تبه دائماً إلى دور الأمة الإسلامية فى الأخلاق
العالمية

إن دورها إنما هو دور الرائد فى الرعية ، وعلى الرائد دائماً أن يكون
المثل الأعلى ، والأسوة الكريمة ، والقذوة الصالحة
وقد كان رسول الله ﷺ : الصورة الحية الناصقة التى طبقت -
كمبادئ إنسانية ممكنة - الخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء ،
واندى عبرت عنه السمة أجمل تعبير وأبلغه .
ومن أجل هذا التعمير الكريم للسمة الشريفة ، كان العنماء المستيريون
فى كل عصر يحاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التى
تعمر عنها ، وكان هؤلاء العلماء - عنماء السمة - يعرفون بسيماهم
فقد كانوا من لهد فى حطام الدنيا . بحيث لا يارعون الناس فى
دنياهم .

لقد كانوا مشعولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشعولين
عن احاء بعرس الخلق الصالح الكريم . وكانوا مشعولين عن السلطان
بمن بيده السلطان يؤتبه من يشاء ويوزعه من يشاء مالك الملك دى
الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصديق ديدهم وفطرتهم .
وكانوا صابرين على الحية . وصابرين على العمل : لقد أقاموا
نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملاً على مرصاة الله ورسوله ﷺ .

والمثل الذى نحب أن نسوقه - كصورة هؤلاء القوم - هو : الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، إنه أحدث الذى حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ﷺ ، فى الزاوية الأخلاقية وسير الإمام رضى الله عنه ، مثل أعنى فى التمسك بما يراه حقاً ، وفى الصبر على ما يناله فى سبيل التمسك بالحق .
على أن كل من تشيع بالسنة حقاً ، إنما هو صورة قرية بقدر المستطاع من الإمام أحمد .

ولقد كان الإمام البخارى وغيره ممن أشربت بهموسهم حب السنة أمثلة كريمة للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف دائماً لسهام اسماذج الأئمة التى استهواها الشيطان فى قبيل أو فى كثير : إنه الرأع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لرعات الهوى والصلال

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر ، لفقدت الإنسانية لثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

ولقد ربت السنة رجالاً ، وحصائصها التى ربت بها الرجال موحودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن داتها ، ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال وأولتهم ثقتها وتقديرها .

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام البخارى ، وإن أمير المؤمنين فى الحديث . الإمام سفيان الثورى ، وأمثال هؤلاء ، رضى الله عنهم مبرات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية

لا بد إذن من العمل على نشر السنة وإداعها ومحاولة الإكثار من النفوس التي تشربها وتحققها وتمثلها وتحياها .
لا بد من نشرها وطنية .

ولا بد من نشرها إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنساني .
ولا بد من نشرها ديناً
ولا بد من نشرها للثروة اللغوية .

وما من شك في أن للسنة جواً فكرياً : فالرسول ﷺ . يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الإنساني ، وعن الأوضاع التي يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوي فالرسول ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، وكلامه ﷺ أبلغ الكلام البشري ، ونشر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية الأمة التي يكتب بها الكتاب ، وعلى وضع الناشئين والثقفين في وضع أدبي ممتاز من حيث اللغة ، ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحي : إنها تهذيب للفس ، وتربية للروح وسمو بالأخلاق إلى درجة لا تجارى ، وصلى الله وسلم على من قال : « إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق » .

ورحم الله شوقي إذ يقول :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجباً دينياً ، وعملاً اجتماعياً كريماً ، وواجباً وطنياً حتمياً ، وإصلاحاً أخلاقياً سامياً .

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول الرديلة فيه أن تعمم الانحلال الحيفي في كل أسرته ، وفي كل بيت ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها . من عرص وشرف وكرامة . ودراسة السمة هي دراسة الفن في السمة ، أي بلاعتها وجمالها ومن أجل الأخلاق في السمة .

ومن أجل التشريع وبيان التشريع .
وحباً في صاحب السمة ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذي رسم بسوكة ويقول أسنى ما يمكن أن تصل الإنسانية إليه في مختلف عصورها .

لقد أحب الله ﷻ : مثلاً أخلاقياً كريماً رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولاً ، فكان الرسول ﷺ الصورة التصيقية الكامنة للرسم الإلهي ، وكان بذلك الإنسان الكامل .

لقد كان أشي الأعل في الرحمة ، والمثل الأعلى في الكفاح والمثل الأعلى في الصبر ، المحاهد المتقاتل ، والمثل الأعلى في الصدق في الإخلاص ، في الوفاء ، في الر في الكرم .

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ، ولا ريب في أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول ﷺ إنما تقتدى بأعظم الشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَن كَانَ يَرْحُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ

(١) سورة الفلم الآية ٤

الله كثير ﴿١﴾ ، وإن العمل على نشر السنة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول ﷺ .

وعبد الله بن المبارك واحد من هؤلاء المجاهدين في نشر السنة ، ولقد كان مؤهلاً لها بكل المؤهلات التي يستلزمها جو السنة ، ومن ذلك :

١ - الإخلاص :

يقول يحيى بن معين : ما رأيت أحداً يحدث لله إلا ستة نفر ، منهم عبد الله بن المبارك .

وعن مسيب بن واضح يقول : سمعت ابن المبارك وقيس له . الرجل يطلب الحديث لله يشتد في سنده ، قال : « إذا كان يطلب الحديث لله فهو أولى أن يشتد في سنده » .

٢ - الذاكرة القوية :

يقول الحسين بن عيسى أخبرني صخر بن المبارك قال : كنا غلماناً في الكتاب ، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يحطب ، فخط حصة طويلة ، فلم مرع قال لي ابن المبارك : قد حفظتها ، فسمعه رجل من القوم ، فقال : هاتها ؟ فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حفظها . ويقول ابن المبارك نفسه : « ما أودعت قلبي شيئاً قط فحانني » . ويقول يعيم بن حماد : سمعت عبد الله بن المبارك قال : قال لي أبي : لئن وجدت كتبك لأحرقها ، قال : فقلت له : وما لي من ذلك وهي في صدري ؟ .

(١) سورة الأحزاب . الآية ٢١ .

٣ - حب السنة :

يصور هذا الحب ما يرويه نعيم بن حماد ، يقول : كان عبدالله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، فقيل له ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه ؟ .

ولقد حاول بعض الناس أن يشيه عن الاشتغال بدراسة الحديث لناس فامتنع فترة من الزمن ولكنه لم يطق صبراً على ذلك ، يقول الحسن بن عبدالله شاذلي ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال : سمعت أبا أسامة يقول : مررت بعبدالله بن المبارك بطرسوس وهو يحدث فقلت : يا أبا عبد الرحمن إني لأكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وصعتموه ، ما هك أدركنا المشيخة ، قال : فأصرب عن الحديث نحواً من عشرين يوماً ، ثم مررت به وقد احتوشوه وهو يحدث فسلمت عليه ، فقال : يا أبا أسامة شهوة الحديث .

ويصح ابن المبارك الناس بالاعتماد على السنة :
عن عبدان قال سمعت ابن المبارك يقول . ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر . وحدوا من ان رأى ما يفسر لكم الحديث .

ويصح القصاة فيقول لأحدهم : «إن ابتليت بانقصاء فعليك بالأثر» .
ومن حبه لسنة أنه كان يوقر الحديث توقيراً عظيماً ، يقول بشر بن الحارث : سألت رجل من المبارك عن حديث وهو يمشي فقال : ليس هذا من توقير العلم ، قال بشر : فاستحسنته جداً .

ومن طرائفه في هذا الباب القصة التالية :
جاء عبدالله بن أبي العباس الطرسوسي - وكان والياً بمر - إلى مرس عبدالله بن المبارك بليل ومعه كاتبه والدواة والقرصان معه ،

قال . فسأله عن حديث فأبى أن يحدثه ، ثم سأله عن حديث فأبى أن يحدثه . ثلاث مرات - فقال لكاتبه : اطو قرطاسك ، ما أرى أباً عبد الرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا ، فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن م لم ترنا أهلاً أن تحدثنا وتمشي معنا ؟ فقال : إني أحبيت أن أذل لك بدني ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ .

ومن طرائفه في بيان السنة في مختلف المواقف ما يرويه حميد قال : عطش رجل عند ابن المبارك قال : فقال له ابن المبارك : إيش يقول الرجل إذا عطش ؟ قال يقول « الحمد لله » . قال . فقال له ابن المبارك . يرحمك الله ، قال : فعجبنا كما من حسن أدبه .

ويقول علي بن الحسين بن شقيق . قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد ، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته ، فمارال يذكرني حتى جاء المؤذن فأذن للفجر .

٤ - التحري :

عن أبي إسحاق الطالقاني قال . سألت ابن المبارك عن الرجل يصلي عن أبويه ؟ فقال : من يرويه ؟

قلت : شهاب بن خراش ، قال : ثقة .

عمن ؟ قلت : عن الحجاج بن دينار ، قال ثقة .

عمن ؟ قلت : عن النبي ﷺ قال . بين النبي ﷺ وبينه مفاز تنقطع فيها أعناق الإبل

وسئل ابن المبارك عنمن تأخذ ؟ فقال : من صلب العلم لله ، وكان

في إسناده أشد ، قد يلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة ، ويلقى الرجل غير ثقة وهو يحدث عن ثقة : ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة

ومن أحل كل ذلك كان تقدير المحدثين له عظيما
وقال علي بن صدقة سمعت أبا أسامة يقول ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس .

وقال القواريري . لم يكن ابن مهدي يقدم عليه وعلى مالك في الحديث أحدا .

وقال ابن معمر : « كان كيسا متبنا ثقة ، وكان عالما صحيح الحديث » .

وقال أبو وهب محمد بن مزاحم :
« العجب ممن يسمع الحديث من ابن المبارك عن رجل ، ثم يأتي ذلك الرجل حتى يحدثه به » .

وقال أحمد « لم يكن في زمانه أطيب لعلم منه ، جمع أمرا عظيما ، ما كان أحد أقل سقطا منه ، كان رجلا صاحب حديث حافظا وكأنه يحدث من كتاب » .

حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن حراش قال « عبدالله بن المبارك مروري ثقة » .

حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلي حدثني أبي قال :
عبدالله بن المبارك خرساني ثقة ، ثبت في الحديث ، رجل صالح .
عن فضالة الوسي ، قال . كنت أجالس أصحاب الحديث بالكوفة ،

وكانوا إذ تشاجروا في حديث ذلوا : « مروا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله » يعنون عبدالله بن المبارك .

ولقد استفاض المؤرخون في ذكر من أخذ ابن المبارك عنهم ، وفي ذكر من أخذوا عنه ، ونحن هنا نقتصر على ما أورده في ذلك الحطيب البغدادي :

سمع هشام بن عروة ، وإسماعيل ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة ، وسعيد الحريري ، ومعمربن راشد ، وابن جريح وابن أبي ذئب ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وشعبة والأوراعي والليث بن سعد ، ويونس بن يزيد ، وإبراهيم بن سعد ، ورهير بن معاوية ، وأبا عوثة .

ثم يقول : « كان من التلاميذ في العلم ، الموصوفين بالحفظ ، ومن المذكرين بالزهد .

أما الذين أخذوا عنه فمنهم : داود بن عبد الرحمن العطار ، وسفيان بن عيينة ، وأبو إسحاق الفراءى ، ومعمربن سليمان ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبدالله بن وهب ، ويحيى بن آدم ، وعبد الرارق بن همام ، وأبو أسامة ، ومكي بن إبراهيم ، وموسى بن سماعيل ، ومسلم بن إبراهيم ، وعبدان بن عثمان ، ويعمر بن بشر ، وأبو النصر هاشم بن القاسم ، ويحيى بن معين ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والحسن بن الربيع البواربي ، والحسن بن عرفة ، ويعقوب الدورقي ، وإبراهيم بن مجشور ، وغيرهم

ثم يقول الحطيب البغدادي « قدم عبدالله بغداد غير مرة وحدث بها » .

ويقول الذهبي حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم فإنه من صباه ما كلف عن السفر ، وقال وهو يذكر من أخذ عنه ، حتى إنه كتب عمن هو أصغر منه .

ويحتمل بيان شعور ابن المبارك نحو السعة بأنه قليل له .

إلى متى يكتب هذا الحديث ؟

فقد . لعل الكلمة التي انتفع بها ما كتبها بعد .

وكتب ابن المبارك تسير على سبيل التأليف في عصره ، فهي أحاديث عن الرسول ﷺ وروايات عن الصحابة والتابعين وكلمات يسيرة نادرة من المؤلف ها أوهياك .

وبن أيديا لابن المبارك كتاب الجهاد ، وقد أوردا خلاصة كافية عنه - وكتاب الرهد وارباق وبه ٢٠٦٣ ألفا وثلاثة وستون حديثا ، ورواية عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين رصود الله عليهم وقد حققه وعلو عليه الأسد المحدث المحقق الشبح حبيب الأعظمي .

قد يدل المحقق فيه جهدا مشكورا حتى أحرجه في صورة دقيقة وفي طبعة أنيقة ، فجزاه الله خير الجزاء

وقد جمعنا قطعة صالحة من أحاديث ابن المبارك ورواياته من كتاب الحلية ومن غيره ، واعتمدنا في الكثير منها على كتاب الرهد وارباق وسبقها أبوابا لتسهيل الإفادة منها . وهي أحاديث وروايات متسقة مع الروح العامة لابن المبارك في صلاحه وتقواه ، وهي بعده وسسكه ، وفي روعه ورهده ، وفيما يلي الأحاديث التي جمعناها :

القرآن

روى ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : إذا أردتم العلم فاثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين .

أبى الأحوص عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن

ابن عباس قال : ما يسمع أحدكم إذا رجع من سوقه أو من حاجته إلى أهله أن يقرأ القرآن فيكون له بكل حرف عشر حسبات

عبد الله قال : اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات ، أما إنى لأقول ألم حرف ، ولكن الألف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف .

أبى هريرة قال : البيت يتلى فيه كتاب الله كثر حيره ، وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذى لم يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل حيره وحضرته الشياطين ، وخرجت منه الملائكة .

عن الحسن أنه بلغه أن النبى ﷺ كان يقول : ألا إن أصفر البيوت من الحير بيت صفر من كتاب الله ، والذى نفس محمد بيده إن الشيطان ليخرج من البيت أن يسمع سورة البقرة فيه .

سهل بن سعد الساعدي قال : يسا نحن نفتريء إذا خرج علينا

الرسول ﷺ فقال الحمد لله ، كتاب الله واحد ، وفيكم الأخيار ، فيكم الأحمر والأسود ، اقرءوا ، اقرءوا ، اقرءوا قل أن يأتي أقوام يقرءون يقيمون حروفه كما يقام السهم ، لا يجاوز تراقيهم ، يتعجبون أجره ولا يتأجلونه .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من خلق الله أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ما عظم الله ، وعظم ما حقر الله ، وليس يسعى لحامل القرآن أن يحهل فيمن يحهل ولا يجد فيمن يجد ولأن يعفو أو يصفح .

عمرو بن مرة قال . سمعت مجاهداً يقول . انقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة ، فيقول يارب جعلتني في جوفه فأسهرت ليله ومنعت جسده من شهوته ولكل عامل من عمله ، فيوقف به عر وجل ، فيقول ابسط يدك ، فتملاً من رصود الله ، فلا يسحط عليه بعدها ابداً ، ويقال له اقرأ وأرقه ، ويرفع بكل آية درجة ، ويراد بكل آية درجة .

موسى بن علي بن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال . إنما الحسد في اثنتين القرآن يعصمه الله الرجل ليقرأه ويعمل بما فيه فيقول الرجل لوددت أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا ، ورجل آتاه الله مالاً فيحصل به رحمه ويضعه في حقه ، فيقول الرجل لوددت أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا ، وأربع حلال إذا أعطيتهم لم يضررك ما عزل عنك من الدنيا : حسن حليقة ، وعفاف طعمة ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

الرهري قر . بلغا أن رسول الله ﷺ قال : إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يحشى الله عز وجل .

الأشعري قال : إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير العالي فيه ، ولا النجافى عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط .

يحيى بن أبي كثير قال . بيثا أسيد بن حضير يصلي ذات ليلة إذ عشيته سبحانه فيها مثل المصباح ، فل والمرأه نائمه إلى جنبه وهي حامل ونفوس مربوط في الدار . فحشيت أن ينفر نفوس فتفرع المرأه فتبقى ولدها ، فانصرفت من صلاتي ، ثم ذكرت ذلك للسي ﷺ حين أصبحت . ذل . اقرأ أسيد . وإن ذلك ملاء يستمع انقرآن

حسان بن عطية قر . كان جبريل يزل على رسول الله ﷺ فيعلمه السنة كما يعلمه القرآن .

الحسن قال : من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن . محمد بن حجارة قال كانوا يستحبون إذا حتموا القرآن من الليل أن يحتموه في الركعتين اللتين بعد المغرب ، وإذا حتموه من النهار أن يحتموه في الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح .

أبي سعيد الحدرى قال : اقرءوا القرآن تسألون الله به قبل أن يقرأه أقوام يسألون به الناس ، سيقراً انقرآن ثلاثة رجال : رجل يباهى به الناس ، ورجل يستأكل به الناس ، وقارئ . يقرأه الله .

عن أبي النور انقشيري أن أبا محمد الحصرمى حدثه ببيت المقدس قال حدثنا كعب في هذا البيت أنه وجد في كتاب المنزل أنه ليس من عيد مؤمن أو مؤمنة يحيى يوم القيامة ومعه ابقره وآر عمران إلا وهم تظفلائه عن يمينه وشماله يقولان . ربنا لا سبيل عليه

معمّر بن أبى حمزة انصبي أنه أخبره قال قلت لاس عباس . إني رجل في قراءتي وكلامي عجلة ، فقال ابن عباس لأن أقرأ البقرة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله .

أبى نصره قال : كما عند عمران بن حصين قال : فحدثنا قال : فقال رجل . حدثنا من كتب الله قال . فعصب عمران فقال : إنك أحمق ! ذكر الله الركعة في كتابه ، فأين من المئين خمسة ؟ ذكر الله الصلاة في كتابه ، فأين الظهر أربعاً حتى ذكر الصلوات ذكر الله الطواف في كتابه ، فأين الطواف بالبيت سبعاً ؟ وبالصفاء والمروة سبعاً ؟ إنا نحكم ما هناك وتمسره السنة .

يحيى بن أبى كثير قال قال رسول الله ﷺ . إن الله كره لكم ثلاثاً . الدعاء عند القرآن ، ورفع الصوت في الدعاء ، والتحصير في الصلاة .

عبد الله بن مسعود قال : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ، ولكن بإقامة حدوده .

عون ومع أن رجلاً أبى عبد الله بن مسعود فقال : اعهد إلي ، فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر يهوى عنه .

مجاهد في قول الله عز وجل . ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾^(١) قال يعملون به حق عمل به .

(١) البقرة آية ١٢١

عطاء بن رباح فى قول الله تعالى : ﴿ طَهَّرْنَا نِسْتَىٰ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(١) قال: أم والله ما هو بالطيب ، ولكنه من الذنب .
ابن عباس فى قوله . ﴿ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٢) ، قال الكتاب
وانسة .

عبد الله : ﴿ وَآتَى الْمَاءَ عَنَى حَبَّةً ﴾^(٣) وأنت حريص شحيح تأمل
العنى وتحشى الفقر .

عبد الله : أنه قل فى هذه الآية : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾^(٤) قال
حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر
فلا ينسى .

أم الدرداء أنه أغمى على أبى الدرداء فأفاق فإذا بهلال ابنه عنده ،
فقال قم فاحرح عنى ، ثم قال : من يعمل لمثل مضجعى هذا ، من
يعمل لمثل ساعتى هذه : ﴿ وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِرُوا
بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٥) أيتهم . ثم أغمى عليه
فلبث لبثاً ثم يفيق فيقول مثل ذلك فلم يزل يرددها حتى قبض .

ابن مسعود قال قال لى رسول الله ﷺ اقرأ على قلت أقرأ وعليك
أرل ؟ قال بى أحب أن أسمعه من غيرى . قال : فافتحت سورة

(١) البقرة آية ١٢٥

(٢) البقرة آية ١٢٩

(٣) البقرة آية ١٢٢ .

(٤) آل عمران : ١٠٢

(٥) الانعام آية ١١٠

النساء فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١) رَأَيْتَ عَيْنِيهِ تَذَرَعَانِ فَقَالَ لِي حَسْبُكَ
أَبِي هَرِيرَةَ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٢) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْعَعُ فِيهِ
لَأُمْتِي .

ابن عياش في قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (٣) قال
حفظ بصلاح أبيهما ولم يذكر عنهما صلاحًا .
محمد بن المنكدر قال : إن الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد
ولده ويحفظه في دويرته والدويرات التي حوله مادام فيهم
شقيق بن سلمة أنه تلا هذه الآية . ﴿إِنِّي أُعَوِّذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ
كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (٤) قال لقد علمت أن انتفى ذو نهيية .
عن الصحيح في قول الله تعالى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا﴾ (٥) .

أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا﴾ (٦) وَقَالَ . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ

(١) النساء آية ٤١ .

(٢) الإسراء : آية ٧٩ .

(٣) الكهف آية ٨٢ .

(٤) مريم آية ١٨ .

(٥) مريم آية ٦٢ .

(٦) المؤمنون : آية ٥١ .

مَا رَزَقْنَاكُمْ^(١) وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، فأني يستجاب لذلك .

الحسن في قول الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا^(٢) قَالَ يعطون ما أعطوا ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ^(٣) قَالَ يعملون ماعملوا من أعمال البر وهم يخشون أن لا يعيهم ذلك من عذاب ربهم عز وجل .

عبد الله بن مسعود قال : لا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار ، ثم قرأ عبد الله بن مسعود ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا^(٤) ثم قرأ : ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِآلَى الْجَحِيمِ^(٥) .

فصالة بن عبيد يقول : لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من حردل أحب إلى من الدنيا وما فيها ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ^(٦) .

ربيع بن خيثم لجديس له : أيسرك أن تؤتي بصحيفة من النبي ﷺ

(١) البقرة - آية ١٧٢ .

(٢) المؤمنون - آية ٦٠ .

(٣) المؤمنون - آية ٦٠ .

(٤) الفرقان - آية ٢٤ .

(٥) الصفات - آية ٦٨ ، وهي رواية ابن مسعود كما في الطبري (٤/١٩) وفي القراءة المشهورة ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾ .

(٦) المائدة - آية ٢٧ .

لم يفلح حاتمها ؟ قال . نعم ، قال : فاقراً ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾^(١) فمرأ إلى آخر الثلاث آيات

عبد الرحمن بن ريد قال : قال عبد الله اعتبروا المفاقي بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أحلف ، وإذا لوأتمن خان ، ثم قرأ عبد الله . ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ تَعْنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَهُ وَنَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فلما آتاهم من فضله بجلوا به وتولوا وهم مغرصون . فأعقبتهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿^(٢) .

أبي عبدة قال : قال عبد الله : الكذب لا يصلح مع شيء في حد ولا عمل اقرءوا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣) فهل ترون من رحمة في الكذب .

وهيب أنه بلة أن مجاهدًا كان يقول في هذه الآية : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا السَّارُ ﴾^(٤) .

سميان قال كان الربيع بن حيشم إذا تلا هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(٥) قال . بل طوعاً يارباه .

(١) الأنعام - آية ١٥١

(٢) التوبة - آيات ٧٥ ٧٧

(٣) التوبة - آية ١١٩

(٤) مود - آية ١٦

(٥) الرعد - آية ١٥

مجاهد فى قوله : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِينَ ﴾ ^(١) قال لا ينظر بعضهم فى قفا بعض .

الحسن فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَئِينَ عُصْرًا ﴾ ^(٢) قال :
أواب إلى الله بقلبه وعمله .

عن الحسن فى قوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٣) قال العرام اللارم
الذى لا يفارق صاحبه ، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام .
مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤)
قال العمل بطاعة الله نصيب من الدنيا الذى يثاب عليه فى الآخرة .

فاطمة بنت عبد الملك كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات به
يقول : (اللهم خفف عليهم موتى ولو ساعة من نهار) ، قالت فقلت
له يوماً : يا أمير المؤمنين ألا أخرج عنك عسى أن تفضى شيئاً فإنك
م تم ، قالت : فخرجت عنه إلى بيت غير بيت الذى هو فيه ، قالت
فجعلت أسمعهم يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٥) يرددونها مراراً ثم
أطرق قلب طويلاً لا أسمع له صوتاً ، فقلت لوصيف له كان يخلطه
ويحك انظر ، فلما دخل صاح ، قالت فدخلت عليه فوجدته ميتاً ، قد
أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه .

(١) سورة الحجر : ٤٧ .

(٢) الإسراء : من الآية ٢٥ .

(٣) المرقان : من الآية ٦٥ .

(٤) القصص : من الآية ٧٧ .

(٥) القصص : آية ٨٣ .

الصحيح بن مزاحم يقول في قول الله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١) قال: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب.

مجاهد في قوله : ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُ﴾^(٢) ، قال الرياء .

الزهري . بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : لا تمكر ولا تنع ماكرًا فإن الله يقول : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٣) ولا تنع باعياً فإن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤) ولا تكث ولا تنع ناكثاً فإن الله تعالى يقول : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٥) .

مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصَّدَقِ وَصَدَّقُوا بِهِ﴾^(٦) قال : هم الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة قد ابتاعوه ، أو قال ابتاعوا ما فيه .

الزهري أن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٧) قال : استقاموا والله لله بطاعته وم يروعوا روعان الثعالب .

(١) فاطر من الآية ١٠ .

(٢) فاطر من الآية ١٠ .

(٣) فاطر . آية ٤٢

(٤) يوسف من الآية ٢٣

(٥) الفتح من الآية ١٠ .

(٦) الزمر من الآية ٣٣

(٧) فصلت : من الآية ٣٠ .

الحسن أنه قرأ ﴿أَفْعَسْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١) الآية ، قال : سمع رجلاً من المهاجرين رجلاً يقرأها يعيدها وييدها فقال : أو ما سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (٢) هذا الترتيل .

الضحاك قال ما من أحد تعلم القرآن ثم سبه إلا بذنب يحدثه وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣) ، ونسيان القرآن من أعظم المصائب .

على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض ثم قرأ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (٤) .

مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة ، هذا مقام أحيك نعيم الدار ، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ، ويركع ، ويسجد ويكبي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَحْمَلَهُمْ كَاتِلِينَ﴾ أمموا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴿٥﴾ .

صحراون مولى عثمان بن عفان قال : مرت على عثمان فحاره من ماء فدعا به فتوصاً فأسبغ وصوئه ثم قال : «لَوْ مِ اسْمَعَهُ مِنْ

(١) فصلت . من الآية ٤٠

(٢) الزمر : من الآية ٤

(٣) الشورى آية ٣٠

(٤) الدعاء آية ٢٩

(٥) المجادلة آية ٢١

رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين ، أو ثلاثا ما حدثكم به ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما توضأ عبد فأسبغ الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الأخرى » قال محمد بن كعب : وكنت إذا سمعت حديثاً عن رجل من أصحاب النبي ﷺ التمسته في القرآن ، فالتسست ها فرجذب ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * يُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَثُمَّ يَعْتَمَّةُ ﴾^(١) فعلمت أن الله لم يتم عليه العمة، حتى غفر ذنوبه، ثم قرأ الآية التي في سورة المائدة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ بِعَمَلِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٢)، فعرفت أن الله لم يتم عليهم العمة حتى غفر لهم

الحسن في قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾^(٣) قال يعذبون .

مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَسْ حَافَ مَقَامَ رَبِّي جَنَّاتٍ ﴾^(٤) . قال هو لمن هم بسيئة فذكر الله فتركها .
سيار الشامي قال . قيل لأبي الدرداء : ﴿ وَلَمْ حَافَ مَقَامَ رَبِّي ﴾

(١) سورة العنكبوت الآية ١ و ٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦

(٣) سورة الماريات الآية ١٣

(٤) سورة الرحمن الآية ٤٦

جَنَّاتٍ^(١) وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ - قَالَ : إِنَّهُ إِنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ لَمْ يَزِنْ وَلَمْ يَسْرِقَ .

ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ مَذْهَبَاتٍ ﴾^(٢) قَالَ خَضِرَاوَانُ مِنَ الرِّى .

عبد الله بن أبي أوفى في قوله : ﴿ مَذْهَبَاتٍ ﴾^(٣) قَالَ حَضِرَاوَانُ .
وفى قوله : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ صَاحَتَانِ ﴾^(٤) قَالَ نَصَاحَتَانِ بِالْحِيرِ .
الحسن في قوله تعالى : ﴿ عُرْيَا تُرَابًا ﴾^(٥) . قَالَ الْعَرَبُ : الْمَتَحِيَّاتُ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ ، وَالْأُتْرَابُ وَالْأَشْيَاءُ الْمُسْتَوِيَّاتُ .

صالح الرى قال : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٦)

قال : يعنى يلين القلوب بعد قسوتها .

لزم رجل باب عمر ، فكان عمر كما خرج راه بالباب فقال له يوما . انطلق واقرأ القرآن يغيبك عن باب عمر ، فانطلق الرجل مقراً بالقرآن ، وفقد عمر فجعل يطيه . إذ رآه يوما فقل . يا فلان لقد فقدناك عما الذى حبستك عما^٩ قال يا أمير المؤمنين أمرتني أن أقرأ القرآن . فقرأته فأعاني عن باب عمر ، فقال . وما . . قال .

(١) سورة الرحمن الآية ٤٦

(٢) سورة الرحمن الآية ٦٤

(٣) سورة الرحمن الآية ٤٦

(٤) سورة الرحمن الآية ١١

(٥) سورة الواقعة ٣٧

(٦) سورة الحديد الآية ١٧

قرأت : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١) . فقال عمر فقه الرجل ، لا كل هذا .

عطية الكوفي في قول الله تعالى : ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .
قال : على أدب القرآن .

البراء في قول الله تعالى : ﴿قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾^(٣) قال : البهجة بما هم فيه من النعيم .

الحسن قال : ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾^(٤) قال : ملأى مسروق عن عبد الله في قول الله تعالى : ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ • خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾^(٥) قال . الرحيق الخمر المحتوم المخرج « ختامه مسك » قال طعمه وريحه .

عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾^(٦) قال تسيم عين الجة يشربها المقربون صرفا وتخرج لأصحاب اليمين .
الحسن في قول الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾^(٧) قال .
بخل بعالا يفتى واستغنى بعير غناء .

أبي الدرداء قل . تدم استقوى أن يفتى الله العبد حتى ينفقه في

(١) سورة الصلاق الآية ٢ ، ٣

(٢) سورة النجم الآية ٤

(٣) سورة الحاه . الآية ٢٢ .

(٤) سورة الب الآية ٣٤

(٥) سورة المطعير الآية ٢٥ و ٢٦ .

(٦) سورة المطعير الآية ٢٧ .

(٧) سورة النبل الآية ٨ .

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال ، خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذي يعبرهم إليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١) ، فلا تحقر شيئا من الشر أن تتفيه ولا شيئا من الخير أن تفعله .

الحسن قال : قدم صمصمة يعني عم الفرزدق أوجده على النبي ﷺ مسمعه يقرأ هذه الآية . ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢) .
فقال حسبي حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها .

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

الإسلام

عن الحسن قال : الإسلام - وما الإسلام - أن تسلم قلبك لله تعالى وأن يسلم منك كل مسلم وذى عهد .
وعن عمر بن الخطاب قال لأبي عبيدة : إنكم كنتم أذل الناس وأقل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العز بنيره يذلكم الله .

وعن عقبة بن أبي الصهراء قال : كان الحسن يفتح مجلسه وحديثه بأن يقول : الحمد لله بالإسلام ، والحمد لله بالقرآن ، والحمد لله بمحمد ﷺ والحمد لله بالأهل وأمال ، والحمد لله بالمعافة .
وعن أبي شريك أن رسول الله ﷺ قال : من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم ، أو أن تفرج عنه غما أو أن تقضى عنه ديناً ، أو أن تطعمه من جوع .

وعن أبي هريرة يقول : قال ﷺ : لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً .
وعن أبي طلحة وابن سهل الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : ما من امرئ يحدل امرأ مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمة ، ويتقص فيه من عرضه إلا حذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر امرأ مسلماً في موطن يتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .

ابن مسعود قال : ما يصبر عبداً يصبح على الإسلام ويمسى عليه
ماداً أصاب من الدنيا .

أبي البحتري أن النبي ﷺ ذكر أشياء يؤجر فيها الرجل قال :
يؤجر في كذا ، ويؤجر في كذا ، حتى ذكر عشيائاً أهله فقالوا :
يا رسول الله : يؤجر في شهوة يصيبها ؟ قال رأيت لو كان إثماً أليس
كان يكون عليه الورر . قال فكذلك يؤجر .

أبي الصهباء وهو صلة بن أشيم طلبت الرق في وجهه فأعبانى
أن أصيبه إلا ررق يوم يوم فعلمت أنه خير لى ، قال : وسمعت الحسن
والإمام حدثنى داود عن الحسن أنه قال : ما من مسلم يرزق رزق يوم
يوم ولا يعلم أنه قد خير له إلا عاجز أو قال غبي الرأى .

الإيمان

روى ابن المبارك بسنده عن : سهل بن سعد يحدث عن النبي ﷺ قال : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد للرأس » .

فصالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع ألا أحبركم بالمؤمن ؟ من أُمه الناس على أموالهم وأنفسهم ، واسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا .

يريد بن مزيد الهمراني أن أبا الدرداء قال : ذروة الإيمان أربع خلال : الصبر بالحكم ، والرضا بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب ، ولولا ثلاث حلال صلح الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

أبي أمامة قال : سأل رجل النبي : ما الإثم ؟ قال : ما حك في صدرك فعدعه ، قال : فما الإيمان ؟ قال : إذا ساءت سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن

عبد الله بن مسعود قال : والذي لا إله غيره ما أعطى عبد مؤمن بعد إيمان بالله أحسن من حسن ظنه بالله سبحانه وتعالى ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد ظنه بالله إلا إياه وذلك لأن الخير بيده .

سعد قال : كل الخلال يطع عليها المؤمن إلا الكذب والحيانة .

أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من أحب المرء لا يحبه إلا الله عز وجل ، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله سبحانه وتعالى منه .
عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لنفس المؤمن أشد ارتكاضاً من الخطيئة من العصفور حين يقذف به اهـ .

الحسن قال : إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأماً ، وتلا هذه الآية :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١) وقال المنافق : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِصْمٍ عِنْدِي ﴾^(٢) .
أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » .

محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام قال : قال رسول ﷺ : « حصلتان لا تكونان في مفاق - حسن سميت ، ولا فقه في الدين » .
رسول الله ﷺ قال : « المؤمن عبد بين محافتين من ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الله فيه ، ومن عمر قد بقي لا يدرى ماذا يصيب فيه من الهلكان » .

(١) المؤمنون : الآيات ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) القصص . من الآية ٧٨

عوف بن عبد الله أن لقمان قال لابنه : يا بني ! ارج الله رجاء
لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته ، قال :
وكيف أستطيع ذلك يا أبه ! وإنما لي قلب واحد ، قال : يا بني ! إن
المؤمن كذى قلبين ، قلب يرجو به وقلب يخاف به .

سعد بن مسعود أن النبي ﷺ سئل : أى المؤمنين أفضل ؟ قال :
أحسنكم خلقاً ، قيل : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم لموت
ذكرًا وأحسنهم لها استعدادًا .

أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنیان
يشد بعضه بعضًا وأدخل رسول الله ﷺ أصابعه بعضها فى بعض » .
عنة بن عبد الأسلمي وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : إن
الشاب المؤمن لو يقسم على الله لأبره .

عمر بن سعد عن النبي ﷺ قال : عجبا لمسلم إن أصابه حير
حمد الله وشكره ، وإن أصابته مصيبة احتسب وصبر ، المؤمن يؤجر
فى كل شيء حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه .

أحسن قال : المؤمن من يعلم أن من قال الله عز وجل كما قال
والمؤمن أحسن عملا ، وأشد الناس حوقا ، يوافق جبلا من مال
ما أفسد من دون أن يعاين : لا يرداد صلاحا وبراً وعبادة إلا ازداد هرقا ،
يقول : لا أنجو ، لا أنجو ، والموافق يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر
لى ، ولا بأس على يسىء العمل ، ويتمى على الله تعالى .

أبي هريرة عن النبي ﷺ . « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فلا يؤد حاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت .

أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في جملته تجول ثم ترجع إلى أجمته ، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ، فاطعموا طعامكم الأتقياء ، وولوا معروفكم المؤمنين » .

ابن عباس قال : أحب ؛ وأبغض ، وعاد في الله ، ووال في الله ، والله لا تثنان ولا ية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم في أمر الدنيا ، وذلك ما لا يحزى عن أهله شيئاً يوم القيامة .

صالح بن سمار أن رسول الله ﷺ قال لخارث بن مالك : ألا كيف أنت ؟ أو ما أنت يا خارث ؟ قال مؤمن ، يا رسول الله ، قال : مؤمن حقاً ، قال فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة ذلك ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ، وأطمأت نهارى ، وكأني أنظر إلى عرش ربي عز وجل ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتراورون فيها ، وكأني أسمع عواء أهل النار ، فقال رسول الله ﷺ ، مؤمن نور الله قلبه ، قال ابن الوراق : قال ابن صاعد : ولا أعظم صالح بن سمار أسند إلا حديثاً واحداً .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافرين » قال : وقال الحسن : والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزينا ، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله عز وجل ، وعن أنه وارد

جهنم وم يأتته أنه صادر عنها والله ليبقى أمراضاً . ومصيبات وأموراً
تغظه وليظلمس . يتتصر ، يتخى من ذلك الثواب من الله عز وجل ،
وما يزال فيها حزناً خائفاً حتى يفارقها ، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة
والكرامة . اهـ .

الحسن قال : إن المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل
وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسوا أنفسهم في الدنيا ،
وإنما اشتق الحسب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير
محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء بمجده فيقول : والله إني لأشتهيك
وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات هيهات ،
حيل يسي وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه ، فيقول ما أردت
إلى هنا ، مالي ولهذا ، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله ، إن
أؤمنين قوم أوثقهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن
أسير في الدنيا يسمى في فكك رقبتك ، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله
يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه ، في بصره ، في لسانه ، في جوارحه ،
يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله .

عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « الدنيا سجن المؤمن ، فإذا
فرق الدنيا فرق السجن » .

الأخوة

روى ابن المبارك بسنده عن : أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله إمتنى قيام الساعة ؟ ، فقال رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، فلما قضى الصلاة قال : أين السائل عن الساعة ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله ! قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام - أو قل ما أعددت لها كبير عمل إلا أتى أحب الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : المرء مع من أحب ، أو قال : أنت مع من أحببت ، قال أنس . فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : ألا إن الناس لم يؤتوا في الدنيا شيئاً خيراً من اليقين والعافية فسلوها الله عز وجل . وقال الحسن صدق الله ، وصدق رسوله ، باليقين هربت من النار ، وباليقين ، طلبت الجنة ، وباليقين صبر على المكروه ، وباليقين أدت المرائص ، وفي معاناة الله حير كثير ، قد والله رأيتهم يتقاربون في العافية فإذا وقع البلاء تباينوا .

عمه بن عامر أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمانين سنين كالمردع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر وقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم اخوض ، وإني لأبصر إليه وأنا في مقامى هذا ، وإني لست أحشى عليكم أن تشرکوا ، ولكن

أحشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ، قال عقبة : وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

معاوية بن قررة قال : أشد الناس يوم القيامة حساباً الصحيح الفارع .
أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل الجنة ندم طالبها ولا رأيت مثل النار ندم هاربها » .

أنس بن مالك قال : يؤتى بأهل الدنيا من الكفار فيقول الله سبحانه وتعالى : اغمسوه غمسة في النار ، فيقال له : هل رأيت نعيمان قط ؟ فيقول لا ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرباً فيقول اغمسوه غمسة في الجنة فيقول له : هل رأيت ضرباً قط أو مسك بلاء قط ؟ فيقول : لا .
أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع أهله ، وماله ، ويبقى معه عمله » .

أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يجاء بآدم يوم القيامة بين يدي الله ، فيقول له أعطيتك وحولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعت وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني إليك به ، فإذا عيذم يقدم خيراً فيمضى به إلى البار » .

عبد بن الحنبل قال : يقال يوم القيامة أين الذين كانوا يتزهون أنفسهم وأسماعهم عن الله ومزامير الشيطان ، اجعلوهم في رياض المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم حمدي وثنائي عليهم وأجروهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

عن أبي سعيد أطهر رفعه قال : « يؤتى بالموت يوم القيامة

كان كشف الأملح حتى يوقف بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة هذا الموت، ويا أهل النار هذا الموت، قال : فيذبح وهم ينظرون فلو مات أحد فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزيناً لمات أهل النار .
 أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته ؟ قال : إن كان محسناً ندم أن لا يكون أكثر من الإحسان ، وإن كان مسيئاً ندم أن يكون نزع » .
 أسد بن الميمنى قال : غزونا مع أبي موسى الأشعرى فقال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، قلنا : وما الهرج ؟ قال : « القتل » .

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » .
 أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يلج الجنة أحد بعمله ، قالوا : ولا إياك يا رسول الله ، قال : ولا إياى إلا أن يتخمدنى الله برحمته ، أو تسعى منه عافيته » .

ثبت قال : قال رسول الله ﷺ : أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الحارث : من أنت ؟ فيقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « إن شئتم أتباتكم بأول سورة ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وبأول ما يقولون ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : يقول الله للمؤمنين قد أحببتكم لقائى ؟ فيقولون نعم يا ربنا ، فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوكم ورحمتك ، فيقول : إني قد وجبت لكم رحمتى » .

أنس بن مالك قال - بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ وسم إذ قال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، قال : فاطلع رجل من الأنصار تططف لحيته من ماء وصوته معلق نعليه بيده الشمال ؛ فلما كان من العد ، قال رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما كان من العد ، قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما قام رسول الله ﷺ ، اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقل له : إني لأحيت أني فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت ، قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل بشيء غير أنه إذا قلب على فراشه ذكر الله ، وكبره حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبح النوصوء ، قال عبد الله غير أني لا أسمع به يقول إلا حيراً ، فلما مضت الثلاث الليال وكدت أن أحترق عمله ، قلت : يا عبد الله ؛ إنه لم يكن يسي وين وابدى عصب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس يصع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلعت أنت في تلك الثلاث المرات فأردت أن أرى إليك ، فأصبر ما عمالك ؟ فأقصدى بك ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ، قال : ما هو إلا ما رأيت فانصرفت عنه ، فلما وليت دعائي ، وقال - ما هو إلا ما رأيت غير أني لأحد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه ، فقال له عبد الله بن عمرو هذه السی بلغت بك وهي التي لا نطق .

أبي سعيد الحدرى قال . أهل الجنة يلهمون الحمد والنسيح كما
يلهمون النفس .

أبي سعيد الحدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى
لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول :
هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً
من خلقك ، فيقول : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، احل عليكم
رضواني فلا أسخط .

الشعبي قال : يطلع القوم من أهل الجنة إلى قوم في النار فيقولون :
ما أدخلكم النار ؟ وإنما أدخلنا الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم قالوا :
إن كنا نأمر بالخير ولا نفعله . اهـ .

العلم

روى ابن المبارك بسنده عن : عبد الله بن عمرو قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى مجلسين أحدهما المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون النسخ ، فقال رسول الله ﷺ : كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً ، هؤلاء أفضل فجلس معهم .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه عملاً يعربنى إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » .
أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خيار أمتي علماؤها ، وخيار عمامتها خيارها . ألا وإن الله يعمر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً ، ألا وإن العالم الرحيم يحيى يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري .
ابن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذاً يعم الدين قال له : لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها .
الحسن قال : لا يزال العبد بخير إذا قال ، قال الله ، وإذا عمل يعمل الله .

حبيب بن حجر القيسي قال كان يقال : ما أحسن الإيمان يزيه العلم ، وما أحسن العلم يزيه العمل ، وما أحسن العمل يزيه الرفق ، وما أضعف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم .

محمد بن كعب القرطبي قال : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث
حصال ، فقهاً في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعيوبه .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : العلم علمان : علم في القلب ،
فذلك انعلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه .

عبد الله بن مسعود قال : لا يزال الناس بهجير ما أتاهم العلم من
قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم
فذلك حين هلكوا .

موسى ﷺ قال : أي رب أي عبادك أحكم ؟ قال . الذي يحكم
نفس كما يحكم لنفسه ، قال أي عبادك أعني ؟ قال : أحرصهم بما قسمت
له ، قال : فأى عبادك أخشى ؟ قال : أعلمهم بي
عن عبد الله قال . كفى بخشية الله عبداً ، وكفى الاغترار بالله
جهلاً اهـ

أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ أراه
قال في هذا المسجد وما كان منهم يحدث إلا ود أن أخاه كناه الحديث
ولا مفت إلا ود أن أخاه كناه الفتيا .

الحسن أنه قال : كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك
في تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وصلاته ، وحديثه ، ورهده ،
وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً
به من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة - اهـ .

ابن شهاب قال بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم كانوا يقولون :
الاعتصام بالسن نجات ، والعلم يقض قضاءً سريعاً فنحنش العلم ثبات
الدين والدنيا ، ودهاب الدين كله في دهاب العلم

عطاء بن نبي رباح قال : ما رأيت مجسداً قط أكرم من مجلس ابن عباس ولا أكثر فقها ، ولا أعظم جفنة ، أصحاب القرآن عنده يسألونه ، وأصحاب العربية عنده يسألونه . وأصحاب الشعر عنده يسألونه ، فكيف يصدر في رأى واسع .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وهي كنفه ، ما م تعال قراؤها أمراءها ، ولم يزل صالحوها وجارها وما م يحسن خيارها شرارها ، فإذا فسوا ذلك رفع الله عنهم يده ، ثم سلط عليهم جباريهم ، فساموهم سوء العذاب ، وصربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً .

سنان قال : كان يقال ليس بفقير من لم يعد البلاء نعمة . والرجاء مصيبة

الصحاب قال أدركهم وما يعلمون إلا النورع أنس بن مالك قال . قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أُسرى بي رجالاً تقرض شفاههم بالمقاريض ، قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : خصاء أمتك الذين يأمرؤن الناس بالبر ويسبون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون » .

معاد بن جبل : اعدوا ما شئتم أن تعلموا هل يأجركم الله بعلم حتى تعملوا - اهـ .

أبي الدرداء : إن أحوف ما أحاف إذا وقفت على الحساب أن يقل لي قد علمت فماذا عملت فيما علمت - اهـ .

أبي الدرداء قال : إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه - اهـ .

سفيان قال : تعودوا بالله من فتنة العايد الحاهل وفتنة العالم الفاجر
فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

مالك بن ديسر قال : سألت الحسن عن عقوبة العالم ؟ قال : موت
القلب ، قال : ومات موت القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة .
عبد الله قال : إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة
يعملها .

سلمة بن نبيط قال : قلت لأبي ، وكان له صحبة نو غشيت هذا
السلطان فقال : إني أحشى أن أشهد مشهداً يدخلني النار .

الصلوة

روى من المبارك بسنده عن عبيد الله بن أبي جعفر قال . قال رسول الله ﷺ . « من أجاب داعي الله وأحس عمارة مساجد الله كانت تحفته بذلك من الله الجنة ، فقيل : يا رسول الله : ما أحسن عمارة مساجد الله ؟ قال : لا يرفع فيها صوت ، ولا يتكلم فيها بالرفث . »

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إسمع الوصوء عند المكاره من الكفارات ، وكثرة انخسإ إلى المساجد من الكفارات ، وانتظر الصلاة بعد الصلاة من الكفارات وذلك الرباط وذلك الرباط . »

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تحطوها إلى الصلاة صدقة . »

يحيى العسلى قال قال رسول الله ﷺ : « مشيك إلى المسجد ورجوعك إلى بيتك فى الأجر سواء . »

عقبة بن عامر الجهنى عن النبي ﷺ قال : « من حرج من بيته إلى المسجد كتب له كتاباه بكل خطوة يحصوها عشر حسات ، وانقاعد فى المسجد ينتظر الصلاة كأنقانت ويكتب من المصين حتى يرجع إلى بيته . »

ثوبان قال . قال رسول الله ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحفظ على الوصوء إلا مؤمن . »

سعد بن إبراهيم عن أبيه أنه قال : سمع عمر بن الخطاب رجلا في المسجد يتكلم فقال : تدري أين أنت .

عمر بن ميمون قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن بيوت الله هي الأرض المساجد وأن حقا على الله أن يكرم من رآه فيها .

حبيب بن أبي ثابت قال : كان يقال إيتوا الله في بيته فإنه لم يؤت مثله في بيته وأنه لأحد أعرف بحق من الله عز وجل .

أبي الدرداء قال : إن من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ .

ميمون بن جابر قال : ما رأيت مسلم يسار متلفتا في صلاة قط خفيفة ولا طويلة ، قال : ولقد انهدمت ناحية من المسجد ، ففرع أهل السوق هدمتها وأنه لفي المسجد في الصلاة فما التفت .

صلة بن أشيم قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاة لا يذكر فيها شيئا من أمر الدنيا ثم سأل الله شيئا أعطاه » .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرت بالسواك عند كل صلاة ، ولأحرت العشاء إلى نصف الليل أو إلى ثلث الليل ، وذكر نروجه عز وجل : فقال : من الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يسغفرني فأغفر له ؟ حتى يطبع الفجر » .

أبي حسين الجاشعي قال : قيل لعامر بن عبد قيس : أتحدث نفسك في الصلاة ؟ قال : نعم ، فلما ولوا قيل قال للذين سألوه ، أو قال

لهم أحدث نفسي بالوقوف بين يدي الرب سبحانه وتعالى ، ومنصرفي من بين يديه .

عمر بن عبد العزيز قال : كان العلماء يهاب أحدهم الرحمن سبحانه وتعالى أن يشد النظر بين يديه ما دام يصلي .

عدي بن حاتم قال : ما دخل وقت صلاة قط حتى أشتاق إليها .
عمار بن ياسر : لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه .

عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « ما من امرئ يكون به صلاة من الليل ، ويعلمه عليها يوم ، إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة » .

أنس بن مالك قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة في سفر مشى على راحلته قليلا .

عبيد الله بن المغيرة أنه سمع أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف كان يسبح قبل صلاة الظهر حتى يفيء الفيء أربع ركعات يطيلهن حتى أقول قد قرأ في بعضهن بسورة البقرة .

سعد بن إبراهيم عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن عوف يصلي قبل الظهر صلاة طويلة ، فإذا سمع شد عليه ثيابه وحرص .

أبي عبد الرحمن الحلي قال : إذا صليت المغرب فقم فصل صلاة رجل لا يريد أن يصلي تلك الليلة ، فمارزقت من الليل قياما كان حيرا ررقته وإن لم ترق قياما ، كنت قد فمت أو الليل .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : صلاة الأوابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس إلى الصلاة .

محمد بن المنكدر يحدث أن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة بين المغرب إلى صلاة العشاء ، فإنها صلاة الأوابين » .

عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة ، إلا وجدته يصلي ، فقلت له في ذلك ، فقال : نعم ساعة العفلة يعني ما بين المغرب والعشاء .

ثابت البناني قال : كان أنس يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل .

عبد الكريم بن الحارث يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء هبى له قصر في الجنة ، فقال عمر بن الخطاب : إذا نكثت قصورا أو بيوتنا يا رسول الله ! ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكثر فصل ، أو قال أطيب » .

ابن صاؤوس عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي سبع عشرة ركعة من الليل .

حميد بن عبد الرحمن يقول : قال رسول الله ﷺ . « أفضل الصلاة بعد العريضة فيام الليل ، وأفضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم » . عائشة قالت : ما حرج رسول الله ﷺ من عندي قط إلا صلى ركعتين .

حسان بن عطية قال - بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ، ولولا أن أشق على أمتي لمرضتها عليهم » .

مرة قال : قال عبد الله : فصل صلاة الليل على النهار كفضل صدقة السر على العلانية .

صمرة بن حبيب بن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أفضل من سجود خمي » .

أبي الدرداء قال : لولا ثلاث ما أحبيت أن أعيش يوماً واحداً ظمأً لله باهواجر ، والسحود في جوف الليل ، ومجالسة قوم يتقون من خيار الكلام كما يتقى من أطايب النمر .

معتمد قال : لولا ظمأ بهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجيد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً .

أبي هريرة قال : كانت صلاة رسول الله ﷺ بالليل يخفض طوراً ويرفع طوراً

سعيد بن جبير قال : قال مسروق : ما آسى من الدنيا على شيء إلا على السجود لله عز وجل .

عمر بن الخطاب قال : لا يفر بكم صلاة امرئ ولا صيامه ، ولكن انظروا من إذا حدث صدق ، وإذا ائتمن أدى ، وإذا أشفى ورع .
حسان بن عطية قال : إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة وإن يسيهما من الفصل لكما بين السماء والأرض ، ثم فسر ذلك أن أحدهما يكون مقبلاً على الله بقلبه ، والآخر ساه عاف .

أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يتفت ، فإذا حرف وجهه انصرف عنه .

مجاهد في قون الله : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ^(١) قال . من القنوت الركوع والشروع ، وعض البصر ، وحمص الجذح من رحمة الله

(١) البقرة من الآية ٢٣٨ .

سبحانه وتعالى ، فكانت العلماء إذا قام أحدهم هاب الرحمن سبحانه وتعالى أن يشد نظره إلى شيء أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبت بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا إلا ناسيًا مادام في صلاته .
 أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى لصلاة فإن الرحمة تواجهه ، فلا يحركن الحصى » .

مسلم بن يسار : إنك إذا كنت قائما بين يدي أميرٍ حبيت أن يراك متخشعا لينجح لك حاجتك ، قبل فأين انتهى النظر في الصلاة ، قال موضع السجود حسن .

مطرف عن أبيه . قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي وجوهه أزيز كأزيز المرجل يعنى يركى .

عبد الله بن هبيرة أن أبا هريرة كان يقول . الصلاة قربان ، والصدقة هداء ، والصيام حنة ، إنما مثل الصلاة كمثّل رجل أراد من إمام حاجته فأهدى له هدية . ومثل الصدقة كمثّل رجل أسر فعدى نفسه ، ومثل الصيام كمثّل رجل لقي عدوا وعليه حنة حصية ، وقال : إذا قام اعبد يعنى إلى الصلاة ، فإنه في مقام عظيم واقف على الله يباهيه ويطرّصه قائم بين يدي الله الرحمن سبحانه وتعالى يسمع قوله ، ويرى عمله ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، فليقبل على الله سبحانه بقلبه وجسده ثم ليرم ببصره قصد وجهه حاشعا أو ليحفضه فهو أقل لسهوه ولا يلتفت ولا يحرك شيئا بيده ولا يرحله ، ولا شيئا من جوارحه حتى يفرغ من صلاته ، ويبشر من فعل هذا ولا قوة إلا بالله عز وجل .

عون بن عبد الله قال . أوصى رجل أبيه فقال . يا بني عليك بتقوى الله وإن استطعت أن تكون اليوم خيرا منك أمس ، وغدا خيرا منك

اليوم فاعمل ، وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع . وإياك وكثرة
تطلب الحاجات فيها فقر حاضر وإياك وما يعتزر منه .

عبد الله إذا كان العبد في صلاته فإنه يقرع باب الملك وأنه من
يدأب قرع باب الملك يوشك أن يفتح له .

أبي هريرة قال : إن أقرب ما يكون العبد من الله تعالى ساجداً ،
فأكثروا الدعاء عند ذلك .

القاسم بن محمد ينون : إن الصلاة النافعة تفضل في السر على
العلائية كفصل المريضة في الجماعة .

أنس بن مالك قال كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل
يصل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المان بديع
السموات والأرض إذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، أسألك فقال
النبي ﷺ هل تدرون بما دعا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم فقال : دعا
الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ « من كانت له
حاجة إلى الله ، أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ،
وليصل ركعتين وليش على الله تبارك وتعالى ، وحل وعلا ، وليصل
على محمد النبي ﷺ ، ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله
رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني أسألك موجبات
رحمتك وعرائم مغفرتك ، والغنمة من كل بر ، والسلامة من كل
دس ، اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولاهما إلا فرجته ، ولا حاجة
هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين »

أبي هريرة قال - قال رسول الله ﷺ : « الصلوات كفارت للمخطايا

واقرأوا إن شئتم : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ . ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١﴾ .

محمد بن كعب القرظي قال - بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « إن الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارات لما يسبهن ما اجتنبت الكبائر ؛ قال محمد بن كعب . هدا في القرآن : ﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كَثِيرٌ مَّا تَسْهَوْنَ عَنْهُ يُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٢) » وقال محمد : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ الدُّبُلِ﴾ . قال - فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر ، وزلفا من الليل . المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿فَهِىَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ﴾ .

عبد الله بن سلام قال : كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الصبيف أمرهم بالصلاة ثم قرأ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُ رِزْقًا﴾ (٣) الآية .

أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أبردوا بالصلاة في الحر فإن حرها من فيح جهنم أو فيح جهنم » .

سام بن أبي الجعد قال : قال سلمان . الصلاة مكيال فمر أوفى أوفى له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين

الحسن أن رسول الله ﷺ قال : مثل الصلاة المكتوبة كالميزان من أوفى استوفى .

(١) هود من الآية ١١٤

(٢) النساء الآية ٣١

(٣) طه : من الآية ١٣٢ .

عقبة بن عاصم أن النبي ﷺ : صلى على أحد بعد ثمان سنين كالمدع للأحياء ، والمدع للأموات ثم قال : إني من بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الخوض وإني لأنظر إليه في مقامي هذا ، وإني لست أحشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أحشى عليكم الدين أن تافسوها ، قال عقبة : وكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

على : أنه توضأ فمسح على نعليه ثم قال : لولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يفعل هذا لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرها .
أبي هريرة أن النبي ﷺ . « سها ثم سجد سجدتين » ، وقيل لابن سيرين هل سلم ؟ قال ثبت عن عمر أنه قال . سلم .

سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال . كان رسول الله ﷺ يسم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض حده ، فقال الرهري لإسماعيل بن محمد . ما سمعنا بهذا عن رسول الله ﷺ ، فعلم له إسماعيل : أسمعت حديث النبي ﷺ كله ؟ قال : لا ؛ قال فالتصف ؟ قال ، لا قال .
فالتث ؟ قال : لا قال : فهذا فيما لم تسمع . وقال عقبة في حديثه :
فالتثين ؟ قال لا قال فالتصف ؟ قال لا قال فهذا في التصف الذي لم تسمع .

الصدقة

روى ابن المبارك بسنده عن . عتبة بن عامر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : كل امرئ في صل صدقته يوم القيامة حتى يقضى الله بين الناس .

عتبة بن عامر قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس ، أو قال يحكم بين الناس قال يزيد : كان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة . عبد الله بن مسعود قال : ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الرب قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ، قال : وهو في القرآن فقراً عبد الله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - إلا كان الله يأخذها بيمينه ويربها ، كما يربي أحدكم فلوه ، أو فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد . عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : تصدقوا ولو بتمررة فيها تسد من الجائع ، وتطفى الحظيئة كما يطفى الماء اسار

عمرو بن مرة أنه سمع حبيشة يحدث عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ ، أنه ذكر السر تعود منها ، وأشاح بوجهه مرتين أو ثلاث

(١) التوبة . من الآية ١٠٤

مرات ، ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمره ، فإن لم تجدوا فيكلمة طيبة .

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنفقتم على أهليكم في غير إسراف ولا إقتار فهو في سبيل الله .

أبي مسعود أن النبي ﷺ قال : إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة .

سليمان بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : صدقتك على المسلمين صدقة ، وعلى ذي رحم صدقة وصلة .

الزهري قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ يشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفا ، ثم تصدق بأربعين ألفا ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على حمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على ألف رحمسمائة راحلة في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة .

عن عروة بن الربير قال : لقد تصدقت عائشة بسبعين ألفا وإن درعها لمرفع :

سفيان بن عيينة عن صاحب له يذكره عن بعض العلماء قال : إن الله أعصى لكم الدنيا قرضاً ، وسأنكموه قرضاً ، وإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم ، صاعف الله لكم ما بين الحسنة إلى العشر ، إلى سبعمائة

ضعف إلى أكثر من ذلك ، وإن أخذها منكم وأنتم لها كارهون فصبرتم واحتسبتم ، كان لكم الصلاة والرحمة ، وأوجب لكم الهدى .

عبد الله بن الشخير قال : أحرني ابن أخي عامر بن قيس : أن عامر بن قيس كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ثوبه ، فلا يلقى أحداً من المساكين إلا أعطاه ، وإذا دخل بيته رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطوها .

أبي هريرة قال : سبق درهم مائة ألف درهم ، قد كان رجل أو كانه رجل له مال كثير فأخذ من عرص ماله مائة ألف درهم ، فتصدق به . وكان رجل ليس له إلا درهمان ، فأخذ خيرهما ثم تصدق به .

مالك الدار ، أن عمر بن الخطاب أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للعلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في بعض حوائجك ، فقال : وصله الله ، ورحمه ، ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفلها . فرجع الغلام إلى عمر بن الخطاب فأخبره ووجده قد أعد مثلها لمعاد بن جبل فقال : اذهب بها لمعاد بن جبل ثم تله في البيت ساعة حتى تنظر إلى ما يصنع ، فذهب بها إليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في حاجتك فقال : وصله الله ورحمه ، تعالى يا جارية اذهبي إلى فلان بكذا ، وإلى بيت فلان بكذا ، وإلى بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ ، فقالت : ونحن والله مساكين فاعطوا فلم يبق في الخرق إلا ديناران ، فدحا بها إليها

فرجع الغلام إليه فأخبره فسر بذلك عمر ؛ وقال إنهم إحنة بعضهم من بعض .

الحسن قال . قال رسول الله ﷺ : إن من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم يتعلمه لابتغاء وجه الله عز وجل .

الصوم

روى ابن المبارك بسنده عن : أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : من لم يدع قول الرور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه .

عطاء بن يسار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : من صام رمضان يعرف بحدوده وتحفظ بما ينبغي له أن يتحفظ به ، كمر ما قبله .

يحيى بن أبي كثير عن النبي ﷺ قال . إن الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام ، والضحك عند المقابر .

صمرة بن أبي حبيب قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل شيء باباً وإن باب العبادة الصيام .

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أفطر عند أهل بيت قال : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وتنزلت عليكم الملائكة أو قال صلت .

عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقولان : رب منعه الطعام والشهوات بالنهار ، فشفعني فيه . ويقول القرآن . رب منعه النوم بالليل ، فشفعني فيه فيشفعان .

معاذ أبو زهرة قال . كان رسول الله ﷺ إذا صام ثم أفطر قال : اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت .

جابر بن عبد الله قال : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك
عن الكلام والمحارم ، ودع أدى الحاد ، وليكن عليك وقار وسكينة
يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك وصيامك سواء

أم عمارة بنت كعب جدة حبيب يعني بن زيد قالت : دخل علي
رسول الله ﷺ ، فقدمت إليه طعاماً فقال لي : كلى فقلت إني صائمة ،
فقال إن الصائم إذا أكل عنده طعام صمت عليه الملائكة حتى يفرغ
منه أو قال حتى يقضوا أكلهم .

سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى النبي ﷺ فقال : أئدن
لنا بالاحتصاء ، فقال رسول الله ﷺ : ليس منا من حصى ولا
احتصى ، إن حصاء أمتي الصيام ، فقال يارسول الله أئدن لنا في
الترهب ، فقال : إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلاة .

الحج

روى ابن المبارك بسنده عن : سالم عن أبيه أنه كان يكثر الاشتراط في الحج ويقول : أليس تحيكم سنة رسول الله ﷺ .
عن جابر عن النبي ﷺ مثل عن العمرة أواجبة هي ؟ قال : لا وأن تعتمروا خير لكم .

يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي يقول . صحى رسول الله ﷺ ، بكبشين أمتعين موجوعين ، فقرب أحدهما فقال : اللهم منك وإليك ، اللهم إن هذا عن أمة محمد وأهل بيته ، ثم قرب الآخر فقال بسم الله اللهم منك وإليك ، اللهم هذا عنى وحدك من أمتى .

الذكر

روى ابن المبارك بسنده عن : معاذ بن جبل قال : ما عمل عبد من عمل أنجى له عذاباً من ذكر الله تعالى .

عبد الله بن بشر صاحب النبي ﷺ يقول قال رجل : يا رسول الله . أى العمل أفضل ؟ قال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله .

احسن قال : سئل النبي ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى .

أبى هريرة وعن فى بيت هذه يعنى أم الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يأتى عن ربه أنه قال : أنا مع عبدى ما ذكرنى ، وتحركت بى شفقتى .

خالد بن معدان قال : إن الله يقول : من ذكرى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرى فى ملاً ذكرته فى ملاً أفضل - أو قال أطيب - منه وأكرم قال - وقال : ما من عبد يضع صدغه للفراش ، وهو يذكر الله تعالى إلا كتب ذاكراً حتى يستيقظ متى استيقظ .

أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عن النبي ﷺ : ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة ، وتعشتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده .

أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة

الله عز وجل ، ورجل كان قلبه معيقاً في المسجد ، ورجلان تحابا في الله عز وجل ، ورجل ذكر الله في الخلاء ففاضت عيابه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله بما صعدت يمينه .

أبي سعيد المقبري قل : قيل يا رسول الله أي الخصال أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله ذكراً ، قال فأى المصلين أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله ذكراً . قال : فأى المجاهدين أعظم أجراً ، قال : أكثرهم لله ذكراً ، قال زهرة فأحبرني أبو سعيد المقبري أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : ذهب الذاكرون بكل خير .

شرح بن عبيد وعبد الرحمن بن حبيب بن نفير أن رسول الله ﷺ قال يوماً . إن ربكم يقول إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وإن كان مكافئاً قرنه .

أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتاه وقال : أوصني يا أبا سعيد . فقال له أبو سعيد سألت عما سألت عنه من قبلك ، قال : أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل السماء وذكرك في أهل الأرض ، وعليك بالصمت إلا في حق فإنك به تغلب الشيطان .

مالك بن أنس قال . بلغني أن عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتنفسوا قلوبكم فإن القلب انقاسي بعيد من الله ، ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ديوب الناس

كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد ، إنما الناس رجلا ، مبتلى ومعاى فارجحوا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

عبد الوهاب بن الورد قال : ما اجتمع قوم فى مجلس أو ملا إلا كان أولاهم بالله الذى يفتح بذكر الله عز وجل حتى يعيضوا فى ذكره ، وما اجتمع قوم فى مجلس أو ملا إلا كان أبعدهم من الله الذى يفتح بالشكر ثم يخوضوا فيه .

سعيد بن حبير قال : الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته ؛ فتلك الخشية ، والذكر طاعة الله ، ومن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطع الله فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب .

حالد بن عمران يقول . قال رسول الله ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فقد سبى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن .

عيسى بن عمرو قال : كأنهم ذكروا عند ربيع بن خثيم شيئا من أمر الناس ، فقال ربيع : ذكر الله خير لكم من ذكر الرجال .

حمزة من يعص ولد ابن مسعود قال : طوبى لمن أحلص دعاءه وعادته لله ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيانه ، ولم يسه ذكر الله ما نسمع أدناه ، ولم يحزن نفسه . بما أعطى غيره .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأستغفر الله وأتوب إليه فى كل يوم مائة مرة .

عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : « الأواب أحفظ » الذى لا يقوم من محضه حتى يستغفر الله سبحانه وتعالى .

عبيد بن عمير في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴾ (١) .
قال : هم الذين يدكرون ذنوبهم في الحلاء ويستغفرون منه
على بن أبي طالب قال : ما حدثني أحد عن رسول الله ﷺ
إلا استحفظته غير أبي بكر ، إنه حدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر ،
إنه سمع النبي ﷺ ويقول : ما من رجل يذنب ذنباً مقتصراً ، فيسبغ
الوضوء ، ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر ربه إلا غفر الله تعالى له .
مالك بن الحارث قال . يقول الله تعالى : إذا شغل عبيد ثنائه
على ، عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين .
عبيد بن عمير قال : تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له
من حبال الدنيا تسير معه ذهباً .
سعيد بن جبير قال : إن أول من يدعى إلى الجنة الذين يحمدون
الله على كل حال ، أو قال في السراء والعسراء .
الحسن أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : الحمد لله بالإسلام
فقال : إنك لتحمده على نعمة عظيمة .
أبي سعيد مولى ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو
يقول الحمد لله انذى جعلني من أمة محمد ، فقال رسول الله ﷺ :
كفى بها من نعمة .
سعيد بن جبير قال : إذا قل أحدكم لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، فليقل الحمد لله
رب العالمين ثم قرأ ﴿ مُحْصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الحمد لله رب العالمين

(١) الإسراء . من الآية ٢٥ .

عثمان بن حيان قال : أكلنا مع أم الدرداء طعاماً فأعفنا الحمد لله ، فقالت : يا بني لا تدعوا أن تأدموا طعامكم بذكر الله أكلاً وحداً حيراً من أكل وصمت .

شهر بن حوشب قال : كان يقال إذا جمع الصوام أربعاً كمل كل شيء من شأنه : إذا كان أوله حلاله ، وذكر اسم الله تعالى ، وكثرت عليه الأيدي ، « وحمد الله تعالى عليه حين يفرغ منه فقد كمل كل شيء » من شأنه .

الحسن أن رسول الله ﷺ قال : ألا أنبئكم بأفضل الكلام : ليس القرآن ، وهو من القرآن سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر .

عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : نزل يأبى الدرداء رجل فقال أبو الدرداء : أمتيم ففسر ، أو طاعن فمخلف ، قال : بل طاعن ، فقال : ما أجد لك شيئاً أعصمك أفصل من كلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ أو قال عمنهيهن رسول الله ﷺ تدرك به من قلبك ولا يدركك من بعدك إلا من جاء بهن ، تكبر في دبر كل صلاة أربعاً وثلاثين ، وتحمد ثلاثاً وثلاثين وتسبح ثلاثاً وثلاثين .

قيس بن بشر التغلبي قال : كان أبي جليساً لأبي الدرداء بدمشق ، وكان بدمشق رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يقال له ابن الحظلية ، وكان رجلاً متوحداً قلما يجالس الناس ، إنما هو صلاة . فإذا انصرف فإنما هو تكبير ، وتسبيح وتهليل حتى يأتي منزله ، فمر بنا يوماً ونحن عند أبي الدرداء فسلم فقال أبو الدرداء : كلمة تنفعنا

ولا تصرفك فقال لما رسول الله ﷺ : إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس إن الله لا يحب الفحش والتفحش

ربيع بن جيثم قال : أتلوا الكلام إلا في تسع : تسبيح ، وتحميد ، وتهليل ، وتكبير ، وقراءة القرآن ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وسؤالك الحير ، وتعوذك من الشر .

أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أدلك على كلمة أكثر من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يا رسول الله ! قال : لا حول ولا قوة إلا بالله

أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما أقبلنا وأشرقنا على المدينة كبر الناس تكبيرة ، ورددوا بها أصواتهم ، فقال رسول الله ﷺ : إن ربكم ليس بأصم ولا غائب ، هو يسلمكم ويبي رؤوس رواحلكم ، ثم قال يا عبد الله بن قيس ! ألا أعلمك كلمة كنزا من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : جاءني جبرائيل فقال : أما يرضيك يا محمد ؟ أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : بحسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عبده « فلم يصل على » صلوات الله عليه وسلم تسليما .

عبد الله بن عمرو أن رجلا قال : يا رسول الله ! إن المؤذنين يفضلوننا ، قال رسول الله ﷺ : قولوا كما يقولون ، فإذا فرغت فسل تعطه .

عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال :
أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار ،
وما سكن فيها الله وحده لا شريك له ، اللهم اجعل أول هذا النهار
صلاحًا ، وأوسطه قلاحًا ، وآخره نجاحًا ، وأسألك خير الدنيا والآخرة
يا أرحم الراحمين .

الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان فراك مداويًا في طاعة الله
فبعاك وبناك ، فراك مداومًا ملك ورفضك ، وإذا كنت مرة هكدا ،
ومرة هكنا طمع فيك .

عن أبي الضحى قال : سمعته يقول : إن عباد الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين إذا رؤوا ذكر الله .

الحسن قال . قال رسول الله ﷺ . إن عباد الله إذا رؤوا ذكر الله
تعالى .

الحسن قال : إن من أفصل العمل . الورع والتفكير .
عنون بن عبد الله قال : قلت لأُم الدرداء : أي عبادة أبي الدرداء
كان أكثر ؟ قالت : التفكير والاعتبار .

حميد بن هلال . حرج أبو رفاعة يريد السوق فلقى رجلاً فقال :
أين تريد ؟ فلما أكثر عليه قال : أذكر الله عز وجل حيث لا يذكر .
أبي الدرداء قال : إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله ،
ويحبون الله إلى الناس والذين يراعون الشمس والقمر والحيوم والأطلة
لذكر الله عز وجل .

سعيد بن جبير قال : سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله ؟ قال .
الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل .

عبد الله بن مسعود أن الجبل يقول للجبل : يا فلان . هل مررت
اليوم ذاكر لله فإن قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ وَقَالُوا
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْ دَعَوْا
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾^(١) قال : أفلا تراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير .

فتادة قال : كان يقال : ما سهر لليل منافق - اهـ .

عمر بن الخطاب قال : من نام عن حظه ، أو عن شيء منه ،
فقرأه فيما بين صلاة الفجر ، وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأها
من الليل .

(١) مريم : الآيات ٨٨-٩١ .

الدعاء

روى ابن المبارك بسنده عن . صهوان بن سليم قال . قال رسول الله ﷺ : إن القلوب أوعية وبعضها أرعى من بعض فادعوا الله أيها الناس حين تدعون وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستحيب لعبده دعاه عن ظهر قلب غافل .

عنقة بن مرثد وإسماعيل بن أمية أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته رفع يديه وضعا وقال : رب اغفر لي ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، لك الملك ولك الحمد .

رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ ضحى أقال وهو يصلي الصبحى - حصين يشك - فسمعتة يقول مائة مرة : اللهم اغفر لي وارحمى ، قال عبد الرحمن يعجبى الرجل أن يقول هذا فى السحر عند وجه الصبح .

الحسن فى هذه الآية : ﴿ادْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) قال اعملوا وأبشروا ، فإنه حق على الله أن يستجيب للدين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ،

أبى هريرة قال - سمعت رسول الله ﷺ يقول . « يدخل الجنة

(١) غافر : من الآية ٦٠ .

من أمتي زمرة هم سعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقال أبوهريرة فقام عكاشة الأسدي فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل من الأنصار فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال سبقت بها عكاشة .

القاسم بن عبيد قال : قلت لأبي مالك : يا أبا حمزة . ادع الله لنا ، قال الدعاء يرفع العمل الصالح .

سفيان قال : بلغنا أنه كان من دعاء النبي ﷺ : اللهم سلم ، سلم . أنس بن مالك أن النبي ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد حفت وصار مثل المرح ، فقال رسول الله ﷺ : هل كنت تدعو الله بشيء ؟ قال : نعم ، كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبني في الآخرة بعمله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : سبحانه الله لا تطيقه أو لا تستطيعه فهلا قلت : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(١) فدعا الله فشعاه .

أنبي موسى قال - كنا مع الرسول ﷺ فجعلنا لا نعلوا شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا النبي ﷺ فقال : أيها الناس إنكم تسم تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً قريباً ، فأربعوا على أنفسكم ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .

الحسن قال - قال داود رب لا مرض يصيبني ولا صحة تنسيني ولكن بين ذلك

(١) البقرة : الآية ٢٠٦ .

الربيع بن حيشم قال : ماشدة العبد لربه عز وجل أن يقول قضيت
فسلك الرحمة ، وما رأيت أحداً يقول : قد أديت ما على فأد ما عليك .
عبد الله بن شداد قال : قال رجل : يا رسول الله ما الأواه ؟ قال
الأواه : الحاشع الدعاء المتصرع ، ثم قرأ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
حَلِيمٌ ﴾ ^(١) .

(١) التوبة : من الآية ١١٤ .

الأخلاق

روى ابن المبارك بسنده عن عمر بن الخطاب قال - قال رسول الله ﷺ : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دينا يصيبها أو امرأة يكرهها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

يحيى بن أبي كثير قال - قال رسول الله ﷺ . إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . فمن كان له قلب صالح تحنن الله عز وجل عليه وإنما أنتم بنى آدم أكرمكم عند الله أتقاكم .

ريد قال : يسرنى أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى الأكل والنوم .

أبى عبيدة بن عتبة قال من سره أن يكمل له عمله ، فليحسن بيته فإن الله سبحانه وتعالى يأجر العبد إذا أحسن بيته .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اجلسوا إلى الثوابين فإنهم أرق شىء أفئدة - اهـ .

سلمان قال : إن لكل امرئ جوانًا وبرانيًا ، فمن يصلح جوانيه يصلح الله برانيه ، ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه .

شداد بن أوس عن السبيعي قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله .

أحسن قال : اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعوا قولهم فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدفه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولاً حسناً مرويداً بصاحبه ، فإن وافق قولاً وعملاً فعم وبعمة عين فأخه وأحبيه ، وأودده ، وإن خالف قولاً وعملاً فعاداً يشبه عليك مه ، أو ماذا يخفى عليك منه ؟ إياك وإياه ، لا يخدعك كما خدع ابن آدم ، إن بك قولاً وعملاً فعملك أحق من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية فسريرتك أحق بك من علايتك وإن لك عاجلة وعاقبة فعاقبتك أحق بك من عاجلتك .

بكر بن عبد الله قال : لما كانت فتنة بن الأشعث قال طلق ابن حبيب اتقوها بالتقوى ، قال بكر : أجمل لنا التقوى ، قل : التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله ، رجاء رحمة الله ، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله خيفة عقاب الله .

سفيان قال : أمهم أبو وائل فرأى من صوته فقال كأنه أعجبه قال : فترك الإمامة .

يزيد بن ميسرة قال - قال الله : إني لست كل كلام الحكيم أثقل ، ولكي أنظر إلى همه وهواه ، فإن كان همه وهواه جعلت صمته وقاراً وحمداً لي ، وإن لم يتكلم .

المغيرة بن حكيم قال - قالت فاطمة بنت عبد الملك : ما معيرة 1 قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصوماً من عمر بن عبد العزيز ، ولكن م أر رجلاً من الناس قط أشد فرقا من ربه من عمر بن عبد العزيز ، فكان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده ، فلا يزال يكي ويدعو حتى تغلله عيناه، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع.

توبة العبري قال : أرسلني صالح بن عبد الرحمن إلى سليمان ابن عبد الملك فقدمت عليه ، فقلت لعمر بن عبد العزيز : هل لك حاجة إلى صالح ؟ فقال : قل له عليك بالذي يبقى لك عند الله ما بقي عند الله بقي عند الناس ، وما لم ينق عند الله لم ينق عند الناس .
سفيان قال : قال رجل بلحس . أوصني ؟ قال : أعز أمر الله يعرك الله - اهـ .

أبي قتادة ، وأبي الدهماء قالا : أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي : أحد رسول الله ﷺ يدي ، فعلمني مما علمه الله فكان مما حفظت عنه أن قال : وإنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه .

أبي بن كعب قال - ما ترك عبداً شيئاً لا يتركه إلا الله إلا أتاه الله بما هو خير منه من حيث لا يحتسب ، ولا تهاون عبد أو أحده من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد منه من حيث لا يحتسب .
سهل الأنصاري قال - قال رسول الله ﷺ : « ما من امرئ مسلم ينصر امرأ مسلماً في موص يتقص فيه من عرضه ويتهت فيه من حرمه إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » .

الشعبي قال : كنت سمعت انعمان بن بشير يقول : يأبها الناس تراحموا فإنني سمعت رسول الله ﷺ يأدني المسلمون كالرجل الواحد إذا اشتكى منه عضو من أعضائه تدعى له سائر جسده

الحسن قال قال نبي الله ﷺ والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم ، فالوا كلنا رحماء ، قال : برحمة أحدكم خويصنه حتى يرحم الناس ، قال إسماعيل قال يوس بيده كأنه يريد العامة .

معاد بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من حمى مؤمناً » من مازق بعث له يوم القيامة ملك يحميه من نار جهنم ، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال

أبي أمامة قال - قال رسول الله ﷺ : من مسح رأس يتيم كان له بكل شعره مرت يده عليها حسنة .

عمرو بن مالك ، أو مالك بن عمرو قال - قال رسول الله ﷺ . من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة . أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال ﷺ بأصبعيه أنا وكاف اليتيم في الجنة كهكداً وهو يشير بأصبعيه . أبي هريرة أنه رأى رجلاً على دابته وغلاماً يسمى حلفه فقال : يا عبدالله أحمله فإنما هو أحوك روحه مثل روحك فحمله .

عبدالله بن عمرو قال : مر رسول الله ﷺ برجل يحلب شاة فقال : إذا حبت فأبق لولدها ، فإنها من أهر الدواب

عبدالله بن مسعود قال : إذا رأيتم أحاكم قارف دنأ فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه تقربوا الدم الحرة ، اللهم العنه ولكن سلوا الله العافية ، فإننا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم على ما يموت ، فإن ختم له بخير صمنا - أو قال رجونا - أن يكون قد أصاب حيراً وإن ختم له بشر حصا عليه عمله .

عمر بن الخطاب قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإنه

أهون أو قال أيسر لحسابكم ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١) .

سفيان أو الأحف بن قيس قال : ثلاث ليس عدى فيهن أناة : الصيف إذا نزل بي أو أعمل له ما كان ، والجارة لا أحبسها ، والأيم إذا عرض لها رغبة أن أزوجها .

محاهد قال : اتبع الجنائر بفضل من التوافل .

سعيد بن المسيب قال . للمتحابين في الله عز وجل منابر من نور يخطهم بها الشهداء .

عبد الرحمن بن سابط قال : أحبرت أن عن يمين الرحمن تارك وتعالى - وكلتا يديه يمين - قوم على منابر من نور ، وجوههم نور ، عليهم ثياب خضر تعش أبصار مناظرهم دونهم ، ويسوا بآبياء ولا شهداء ، قبي : فما هم ؟ قال : قوم تحابوا في جلال الله حين عصى الله في أرضه .

طلحة بن عبيد الله بن كزير قال : ما تحاب متحابان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه ، وإن مما لا يرد من الدعاء دعاء المرء لأخيه بظهر العيب ، وما دعا له بحير إلا قال الملك الموكل ولك مثله .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال - قال رسول الله ﷺ : المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا .

(١) الحاقة - الآية ١٨

أبي اندرداء قال : نعم صومعة الرء المسلم بيته ، يحمط عليه نفسه
وسمعه وبصره ، إياكم ومجالس السوق فإنها تلهي ويطغي .
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة من
رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله تعالى بها درجات ، وإن العبد
يتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقي لها بالاً يهوى بها في
جهنم .

علقمة بن أبي وقاص الليثي أن بلال بن الحارث الماري قال له إني
رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتفشاهم فانظر ماذا تحاصرهم به ،
فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من
الخير ما يعلم ملعها يكتب الله له رصوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل
ليتكلم بالكلمة من الشر ، ما يعلم مبلغها يكتب الله عليه بها سخطه
إلى يوم يلقاه ، وكان علقمة يقول رب حديث قد حل يسي وبه
ما سمعت من بلال .

بهد بن حكيم عن أبيه عن حده قال - سمعت رسول الله ﷺ
يقول : ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له
أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرجل ليتكلم بالكلمة
يضحك جلساءه يهوى بها أعد من الرياء

عائشة قالت . قال رسول الله ﷺ من أَرَصَ الناس بسخط الله
وكله الله إلى الناس ومن أَرَصَ الناس برضاء الله كفاه الله
من مسعود قال : لأن أحسن بجمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت
ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان لي لم يكن أول شيء لم
يكن ليته كان .

عن موسى بن أبي عيسى المديني قال - قال رسول الله ﷺ :
 كيف بكم إذا مسق فتيانكم وطفى نساؤكم ؟ قالوا يا رسول الله وإن
 ذلك لكائن ؟ قال : نعم وأشد منه ، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف
 ولم تنهوا عن المنكر ؟ ، قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال
 وأشد منه ، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً ؟ .

الشعبي قال - سمعت العمام بن بشير يقول على هذا المنبر : يا أيها
 الناس خذوا على أيدي سفهائكم ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 إن قومًا ركبوا في سفينة فافتسموا فأصاب كل رجل منهم مكانًا ، فأخذ
 رجل منهم المأس فنقر مكانه قالوا ما تصنع ؟ قال : مكاني أصعب به
 ماشئت ، فإني أخذوا على يديه نجوا وإن تركوه غرق وعرقوا ،
 خذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا .

أنس بن مالك قال : عطس رجلان عند النبي ﷺ فشممت رسول
 الله ﷺ أحدهما وم يشمت الآخر ، وقال إن هذا قال الحمد لله ولم
 تقل أنت الحمد لله .

عقبة بن عامر قال : قلت يابني الله ما النجاة ؟ قال ، أن تمسك
 عليك لسانك ، ويسعك بيتك ، وابك على خطيئتك

أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : أحب ما يعبدني
 به النصيح لي . »

أبي نجيع قال : سمعت طاووسًا يسأل أبي عن حديث فرأيت طاووسًا
 كأنه يعقد يده ، وقال أبي : يا أبا عبد الرحمن إن لقمان قال : إن من
 الصمت حكمًا ، وقيل فاعله . فقال له طاووس : يا أبا نجيع ، إنه
 من تكلم واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله .

حذيفة بن اليمان : إن الحق ثقيل ، وهو مع ثقله مرىء ، وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وىء ، وترك الخطيئة أيسر ، أوقال : حير من طلب التوبة ، ورب شهوة ساعة أورثت حرناً طويلاً .
سمرة بن جندب قال : من سره أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عنده ، ومن سره أن يعلم مكان الشيطان منه ، فلينظره عند عمل السر .

عبد الرحمن بن رباد بن أنعم أن أبا ذر الغفاري دعى إلى وليمة فلما حضر إذا هو بصوت فرجع فقبل له : ألا تدحل ؟ فقال : أسمع فيه صوتاً . ومن كثر سواداً كان من أهله ، ومن رصى عملاً كان شريك من عمله .

عطاء بن السائب أن أبا البختري وأصحاباً له كان إذا مشى أحدهم في الطريق فسمع ثناء عنيه نسي منكبيه وقال : خشعت لله .
سعيد بن جابر أن أبا الدرداء قال : إذا قضى الله قضاء أحب أن يرضى بفضائه .

سفيان عن ربيع قال عبد الله : الفرح والروح في اليقين والرضا ، وانهم والحرن في الشك والسخط .
أبي الدرداء قال : أحسوا مجاورة نعم الله ، ولا تمسوها ، ولا تنفروا فإنها لكل ما سرت عن قوم فعادت إليهم .

بكير بن الأشج أن عبد الله بن سلام خرج من حائط له بحزمة حطب يحملها فلما أبصره الناس قالوا : يا أبا يوسف ! قد كان يعني في ولدك وعبيدك من يكفئك هذا ، قال : أردت أن أجرب قلبي هل ينكر هذا .

علي بن يزيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز وهو يحطب يقول :
ألا إن أفضل العمل أداء الفرائض وإمساك عن المحارم

سليم بن جابر بن سليم قال : أتيت النبي ﷺ وهو جالس مع
أصحابه ، فقلت أيكم النبي ؟ فأما أن يكون أوماً إلى نفسه ، وأما أشار
إليه القوم ، فإذا هو محت ببرودة قد وقع هو بها على قدميه ، فقلت
يا رسول الله إني سئلك عن أشياء فعلمني ، قال : اتق الله ولا تحقرن
من المعروف شيئاً ، ورو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى ، وإياك
والمحيلة فإن الله لا يحب المحيلة وإن امرؤ شتم بغيرك بأمر يعلمه فيك
ولا تعيره بأمر تعلمه فيه ، فيكون لك أجره ، وعليه إثمه ولا تسن أحداً
هشام بن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة نبي : تكن
كسبتك طيبة ، وليكن وجهك بسيط تكن أحب إلى أسس من يعطيهم
العطاء .

عائشة قالت : من سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكنف نفسه عن
السوب فإنكم لم تلقوا الله بشيء ، حير لكم من قبة الذنوب اهـ
أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : من كف لسانه عن أعراض
الناس أقال الله عشرته يوم القيامة . ومن كف عصه عنهم وقاه الله
عذابه يوم القيامة .

عبد الله بن مسعود : لو سخرت من كتب لخشيت أن أكون كلباً
وإني أكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا .
أبي بكر بن حزم قال - قال رسول الله ﷺ : إنما يتحالس
المجالسان بأمانة الله ، فلا يحس لأحدهما أن يمش على صاحبه ما يكره .

أبي هريرة قال - قال رسول الله ﷺ : إذا أحب أحدكم أن يعصم قدر نعمة الله عليه فليظفر إلى من هو تحته ، ولا ينظر إلى من هو فوقه .
 جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ يقول قبل موته بثلاث :
 ألا يسوتر أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن
 الحسن قال - ذكر لنا أن النبي ﷺ قال : ليس العسى عن كثرة المال ، ولكن غنى القلب .

أنس بن مالك قال - قال رسول الله ﷺ : إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه .

عمر بن الخطاب وهو يخطب في الناس ويقول : لا يعجبكم من الرجل طبطبته ، ولكنه من أدي الأمانة ، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل .

أبي ذر قال : أوصاني خليلي ﷺ إذا صنعت مرقاً فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصحبهم منه بمعروف .
 حوط بن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم قال : فخرج في الرعي في يوم حار . فأتاه بعض أصحابه فإذا هو بالعمامة تظله وهو نائم ، فقال : أبشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو أن لا يخبر به أحداً .

قتادة قال : أنبت أن عامر بن عبد قيس تحنف عن أصحابه فقبل له إن هذه الأجمة فيها الأسد وأنا نحشى عليك ، فقال : إني لا أستحي من ربي أن أخشى شيئاً دونه .

بلال بن سعد قال . إن المعصية إذا أحميت لم تضر إلا صاحبها وإذا أعلنت فلم تعير ضرت العامة .

أزهر بن راشد الكندي أن رسول الله ﷺ قال . إن العبد ليبدى عن نفسه ما ستره الله فيتمادي في ذلك حتى يمقته الله .

عمر بن عبد العزيز قال : كان يقال إن الله تعالى لا يعذب العامة بدنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا كلهم العقوبة .
عبد الله بن الحسن قال - قال علي . لا يترك الناس شيئاً من دينهم إرادة استصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر عليهم وما هو شر عليهم منه .

أنس بن مالك قال - قال رسول الله ﷺ . « من أتعش حقاً بلسانه جرى له حتى يأتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه » .
وقال حبان : « حقاً يعمل به بعده » .

ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « أمرني جبريل أن أيسر » .
عبد الله بن عمر عن أبيه قال - قال رسول الله ﷺ « من ظلم شيئاً من الأرض حق به يوم القيامة » .

أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي رجالاً تقطع ألسنتهم بمقاريض من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بما لا يفعلون » .

الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال لا والله ما كانت تعلق دونه الأبواب ، ولا تقوم دونه الحجة ، ولا يغدى عليه بالحفان ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان يبرأ من أراد أن يلقي نبي الله ﷺ لقيه .

وكان والله يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس السيط ، ويركب الحمار ، ويردف بعده ، ويلحق والله بده .

رجل قال : كان طارق قال : إن لم يبايع سعيد بن المسيب لأقتلنه قال : فدخلنا على سعيد بن المسيب فقلنا له . فقال : لا أبايع لرجلين . فقليل له تغيب ، فقال : أحيث لا يقدر على الله ؟ فقلنا اجلس في بيتك ، فقال : أدعى إلى الفلاح فلا أجيب ؟ .

خالد الربيعي قال : كنا نتحدث أن مما يعجل عقوبته أو قال : لا يؤخر عقوبته الأمانة تحان ، والإحسان يكفر ، والرحم تقطع والبعي على الناس .

ثوبان قال - قال النبي ﷺ : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه - اهـ .

ابن عباس قال : مر بنا رسول الله ﷺ يقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتره من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم قال . فأحد جريدة فشققها بنصفين ، فغرز في كل قبر واحدة ، فقل يا رسول الله ! لم فعلت هذا ؟ فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا .

شعيب الجبائي قال : إذا كمل فحور الإنسان ملك عينيه فمتى شاء أن يبكي يبكي - اهـ .

صمرة بن حبيب أن رسول الله ﷺ قال : إن أول شيء يرفع من هذه الأمة : الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعاً . اهـ .

زيد أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب : إني موصيك بوصية إن

حفظتها ، إن الله تعالى حقاً بالهار لا يقبله بالليل ، والله في الليل حقاً لا يقبله في النهار ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة إنما ثقست موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق ، وثقله عليهم ، وحق الميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخفته عليهم ، وحق للميزان ألا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وأن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا ، وتجاوز عن سيئاتهم فيقول قائل : أنا أفضل من هؤلاء - وذكر آية الرحمن ، وآية العذاب . فيكون المؤمن راعياً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقي يده إلى التهلكة ، فإن حفظت قولي فلا يكوس غائب أحب إليك من الموت ، ولا يد لك منه ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكوس غائب أبغض إليك من الموت ، ولن تعجزه .

الحسن قال . قال رسول الله ﷺ : كلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم جعلنا الله فداك .

قال فاقصروا من الأمل ، وتبينوا حالكم من أنصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء .

قنا : كلما يستحي من الله .

قال : الحياء من الله : أن لا تنسوا المقابر واليلي ، ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا الرأس وما حوى ، ومن يشتبهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا ، هنالك يكون قد استحي من الله وأصاب ولاية الله .

حكيم بن عمير أن النبي ﷺ قال : من فتح له باب من الخير ما ينتهره فإنه لا يدري متى يعلق عنه - اهـ .

الزهد

روى ابن المبارك بسنده عن - عون بن عبد الله أنه كان يقول : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلعه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبعضتم الأمل وغروره .

أبي الورداء قال : أضحكني ثلاث ، وبكاني ثلاث ، أضحكني مؤمل دية والموت يطلبه ، وغافل وليس بمعقول عنه ، وصاحك يملأ فيه ولا يدري أرض الله أم أسخطه ، وأبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السريرة علانية ، ثم لا أدري إلى الجنة أم إلى النار .

عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « ما زان الله العباد برية أفصل من رهادة الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه » .

بلال بن سعد قال : زاهدكم راغب ، ومجتهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم مغتر .

علي بن أبي طالب قال : إنما أحشى عبيكم اثنين . طول الأمل ، واتباع الهوى ، فإن طول الأمل يسي الآخرة ، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

سفيان بن عيينة قال - أحسن رجل قال : قبل بحسن في شيء

قاله : يا أبا سعيد ما سمعت أحداً من الفقهاء يقول هذا ، قال : وهل رأيت فقيها قط ، إنما الفقه الراهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، الدائب هي العبادة قال : وما رأيت فقيها قط يدارى ولا يمارى ، ينشر حكمة الله فإن قبلت حمد الله وإن ردت حمد الله .

ابن سعد أن حفصة قالت لعمر ألا نلس ثوباً ألبس من ثوبك وتأكل طعاماً أطيب من طعامك هذا ؟ فقد فتح الله عليك الأرض وأوسع عليك الرزق ، قال سأخصمك إلى نفسك ، فذكر أمر الله رسول الله ﷺ ، وما كان يلقي من شدة العيش ولم يزل يذكر حتى بكيت ثم قال عمر لأشركنها في مثل عيشهما الشديد لعل أدرك معهما مثل عيشهما الرحي .

علقمة بن عبد الله قال : اصططحع رسول الله ﷺ على حصير فأثر الحصير بجلده فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول : يا رسول الله ! ألا آدنتني قبل أن تمام على هذا الحصير ، فأبسط لك عليه شيئاً يقيهك منه ؟ فقال رسول الله ﷺ : مالى وللدنيا ، وما للدنيا رلى ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل في فسيء أو ظل شجرة ثم راح وتركها .

المستورد بن شداد أحد بني فهر ، قال : كنت في الركب الدين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة ، فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه هانت على أهلها حتى ألفوها ؟ قالوا : من هوانها ألفوها يا رسول الله ! قال : والدنيا أهون على الله من هذه على أهلها .

مسلمة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد صلاة العجر في بيت كان يحل فيه بعد انفجر فلا يدخل عليه أحد فجاءته ابجارية

بطبق عليه تمر صيحاتي . وكان يصحبه التمر مرفع بكفيه منه . فقال .
 يا مسلمة ! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عمية من الماء فإن
 الماء على التمر طيب أكان محزبه إلى الليل ؟ قال : قلت لا أدرى مرفع
 أكثر مه . فقال فهذا ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين ! كان كافيه دون
 ما هذا حتى ما يبالي أن لا يدوق طعاماً غيره ! قال : فعلام تدخل
 النار ؟ قال فقال مسلمة فما وقعت منى موعظة ما وقعت منى هذه .
 حيثما قال : قال سليمان بن داود صلى الله عليهما : كل العيش
 قد جربناه ليسه وشديده فوجدنا يكف منه أدناه .

عن يسار بن نمير قال : ما نخلت لعمر طعاماً قط إلا وأنا له عاص .
 ابن طائس عن أبيه قال : أجذب الناس عهد عمر فما أكل سمياً
 ولا سمناً حتى أكل الناس .

الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لا تنحلوا الدهيق فإنه طعام
 كله .

أنس بن مالك قال : لقد رأيت بين كنفى عمر أربع رقاع في
 قميصه .

عن عامل لعمر كان على أدرعات قال . قدم عليا عمر بن الخطاب
 وإذا عليه قميص من كرايس فأعطانيه فقال - اغسله ورقعه ، قال
 فغسلته ورفعته ثم قطعت عليه قميصاً فأتيته بهما فقلت هذا قميصك
 وهذا قميص قطعت عليه لتلبسه فمسه فوجدته لينا فقال : لا حاجة
 لنا فيه هذا أنشف للعرق منه .

مالك بن دينار عن الحسن أن عمر بن الخطاب كان في إزاره اثنتا
 عشرة رقعة بعضها من آدم .

هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب في خطبته :
تعلمون أن الطمع فقر ، وأن الأياس عنى ، وأنه من أيس مما عند الناس
استعنى عنهم .

شداد بن الهاد قال . رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر
عليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة ، وربطة كوفية
ممشقة صرب اللحم يعنى حفيف اللحم طويل اللحية حسن الوجه .

متنثرات

روى ابن المبارك بسنده عن : أنس بن مالك قال . قال رسول الله ﷺ : إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلْهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ ؟ قَالَ يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ

حسان بن عطية قال :- قَالَ اللَّهُ : لَا يَنْحَرُ مِنِّي عَبْدِي إِلَّا بِأَدَاءِ مَا اقْتَرَضَهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَرْحُ عِبْدِي يَتَّقِبُ إِلَى الْوَافِلِ حَتَّى أَحْبَهُ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ الصَّيْحَةِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَثُرَتْ قَبْلَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، أُحِبُّهُ إِذَا دَعَانِي ، وَأَعْطَيْتُهُ إِذَا سَأَلَنِي ، وَغُفِرَ لَهُ إِذَا اسْتَغْفَرَنِي .
عائشة قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ يَمْنُ الْمَرْأَةُ تَيْسِيرَ خُطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صِدَاقِهَا .

الحسن قال . لا يَرِثُ الْعَدُوَّ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعْظُ مِنْ نَفْسِهِ .
مطرف بن عبد الله بن الشَّحِير قال : لَأَنْ أُبَيَّتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبَيَّتَ قَائِمًا وَأَصْبَحَ مَعْجَمًا .
ابن عمير ، أَنَّ الْأَوَابَ الْخَفِيفَةَ الَّتِي إِذَا ذَكَرَ خَطَايَاهُ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَنْهَا .

مجاهد عن عبيد بن عمير قال : الْأَوَابُ الْخَفِيفَةُ الَّتِي يَذْكُرُ الذَّنْبَ فَيَتُوبُ مِنْهُ .

عمرو بن ميمونة الأودي قال قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه :

اغشتم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ،
وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .
أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : إن الله لا يظلم حسنة يثاب
عليها الرزق في الدنيا ويحزى بها في الآخرة

ابن عمر أنه كان يتسول حين يريد النوم وكرة وحين يصبح .
معقل بن يسار قال : كان أول ما عرفت عامر بن عبد العنبري إني
رأيت موصفا لي قريبا من رحية بنى سليم وهو على دابة ورجل من
أهل الذمة يظلم ، فنهى عنه ، فلما قال كذبتم ، والله لا نظلم دمة الله
أبدا وأنا شاهد ، وقال : فتخلصه ، فلما كان بعد ذلك أتيت في
منزله ، وكان الناس يقولون إن عامر لا يأكل السمن ولا يأكل اللحم
ولا يتزوج النساء ، ولا تمس بشرته بشرة أحد ، ويقول إني مثل
إبراهيم ، فلما دخلت عليه أحرح يده من تحت برنس حتى أحد
بيدي ، فقلت هذه واحدة ، فلما تحدثنا قسب إن الناس يقولون إنك
لا تأكل اللحم ولا تأكل السمن ، ولا تزوج النساء ، وتقول إني مثل
إبراهيم ، قال : أما قوهم إني لا أكل اللحم ، فإن هؤلاء ، قد صعدوا
في الذبائح شيئا لا أدرى ما هو ؟ فإذا لشتهيت اللحم أمرت بشاة
فاشترت لنا فذبحتها وأكلنا من لحمها ، وأما قوهم إني لا أكل السمن ،
فإني لا أكل من ههنا وأكل ما يحىء ههنا ، وأما قوهم إني لا أتزوج
النساء فإنما هي نفس واحدة لقد كادت أن تعلني ، وأما قوهم : إني
مثل إبراهيم ، فإني قلت : إني لأرجو أن يجعلني الله مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين .

سليمان بن حميد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك بن

عمر يعى ابيه إنه ليس أحد من الناس رشفه وصلاحه أحب إلى من
رشدك وصلاحك إلا أن يكون وإلى عصابة من المسلمين ، أو من
أهل العهد يكون هم فى صلاحه مالا يكون هم فى غيره ، أو يكون
عبيهم من فسادة ، مالا يكون عبيهم من غيره .

سليمان النميمى قال سمعت أنسًا يقول : كنت قائمًا على الحى
أسقيهم عمومتى وأنا أصعدهم - فقيل : حرمت الحمر ، فقال :
اكفأها فكفأها قلت لأنس : ما شرابهم ؟ قال : رطب وبسر .

ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : نعمتان مغبون فيهما كثير
من الناس : الصحة والفراغ .

عائشة عن النبى لله قال لا وفاء ينذر من معصية الله ، وكفارته
كفارة يمين .

محمد بن زياد عن أبى عربه الخولاني ، أنه كان فى مجلس خولان
فى المسجد جالسًا فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربًا من الطاعون
فسأل عنه فقالوا : خرج يتزحزح هاربًا من الطاعون ، فقال : إنا لله
وإنا إليه راجعون ، ما كنت أرى أبى أبقى حتى أسمع بمش هذا ، أفلا
أحبركم عن حلال كان عليها إخوانكم ؟ أوالها لقاء الله كان أحب إليهم
من الشهد ، والثابيه لم يكونوا يحافون عددًا قلوبا أو كثروا ، والثالثة
لم يكونوا يحافون عوزًا من الدنيا ، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم ،
والرابعة إن نزل بهم الطاعون لم يرحوا حتى يفصى الله فيهم ما قصى .
سالم عن أبيه قال : أكثر ما رأيت النبى ﷺ يحلف بهذا اليمين .
لا ومقلب القلوب .

سالم بن أبي الجعد قال : سأل رجل ابن عباس عن رجل قتل مؤمناً متعمداً ثم تدب وآمن وعمل صالحاً ، ثم اهتدى ، قل وأنى له الهدى ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : يجيء المقتول يوم القيامة متعلقاً بانقائل تشحب أو داجه دما فيقول : يارب سل هذا لم قتلني ؟

سعيد بن المسيب قال : من جلس في المسجد - وقال ابن حنبل : من جلس في المجلس - فإما يجلس ربه قال محمد بن مسلمة فما حقه أن يقول إلا خيراً .

مكحول قال - قال رسول الله ﷺ : من أحلص لله العبادة أربعين يوماً ظهرت مائة الحكمة من قلبه على لسانه .

عائشة رضي الله عنها قالت - قال : رسول الله ﷺ : إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، فكانت عائشة إذا عملت عملاً داومت عليه .

جعف بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن عمر بن الخطاب قال : حذوا بحطكم عن العزلة

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : كان يحطب يوم الجمعة ويسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : ابتوا لي مبراً ، فبوا له مبراً إنما كان عتبتين ، فتحول من الخشبة إلى المبر فحنت والله الخشبة حين الوله ، فقال أنس : أنا والله في المسجد أسمع ذلك ، والله ما زالت تحر حتى نزل رسول الله ﷺ من المنبر ومشى إليها فاحتضها فسكت ، فبكى الحسن وقال : يامعشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتهوا إليه ؟ !

رفاعة الجهني - واللفظ لابن المبارك - قال : أقبنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد جعل رجلاً ما يستأذنون إلى أهلهم فيأذن لهم ، وحمد الله ، وقال ابن صاعد هي المرة الثانية وأنتى عليه - وقال حيراً وقال أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه ثم سدد ، إلا ملك به في الجنة ، وقد وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوراً أنتم ومن صلح من أزواجكم ودرياتكم مساكن في الجنة ، وقال : إذا مضى نصف الليل ، أوقال ثلث الليل ينزل إلى السماء والدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي غيري ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه حتى ينفجر الصبح .

أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : من بات طاهراً بات في شعابه ملك لا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان ، فإنه بات طاهراً .

الزهري قال : قال لي عبد الملك بن مروان عن الحديث الذي جاء النبي ﷺ من ما لا يشرك بالله شيئاً دخل الحة وإن ربي وإن سرق قال فقلت له : أين يذهب لك يا أمير المؤمنين هذا قبل الأمر والنهي وقبل الفرائض .

عن نافع سمعت ابن عمر سمعت النبي ﷺ يقول : كل مسكر حرام .

الزهري قال : بلغنا أنه أتى النبي ﷺ ملك لم يأتها قبلها ، ومعه

جبرائيل صامت : إن ربك يخبرك بين أن تكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فطر إلى جبرائيل كالستادن فأشار إليه أن تواضع فقال رسول الله بل نبياً عبداً ، فقال الزهري : فزعموا أن النبي ﷺ لم يأكل منذ قالها متكئاً حتى فارق الدنيا ، قال ابن صاعد : وقد روى هذا الحديث الزبيدي عن الزهري .

صلة بن أشيم العدوي قال : خرجت في بعض قرى نهر نيري أسير على دابتي في زمان فيوض الماء ، فأنا أسير على سناة ، فسرت يومئذ لا أجد شيئاً أكله ، واشتد عني ، فلقيني عالج يحمل على عنقه شيئاً ، ففتت ضعه ، فوصفه فإذا هو جبن ، فقلت أطعمني منه ، فقال نعم إن شئت ولكن فيه شحم حزين ، فلما قال ذلك تركته ومضيت ، ثم لقيت آخر يحمل على عنقه طعاماً فقلت له أطعمني ، فقال هذا تزودت هذا كذا وكذا من يوم ، فإن أخذت منه شيئاً أضرت بي ، وأضعفتي فتركته ثم مضيت ، فوالله إني لأسير قد سمعت خلفي وجبه كخوايه الطير يعني صوت طيرانه ، فالتفت فإذا شيء ملفوف في سب أبيض أي حمير ، فترت فإذا دوحله من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة ، فأكلت منه ، فلم أكل رطباً قط أطيب منه .

وشربت من الماء ثم نفقت ما بقي وركبت الفرس ، وحمدت نواهي معي فحدثني عوف بن دهم قال : فرأيت ذلك السب مع امرأته ملفوفاً فيه مصحفها ثم فقد بعده ، فلا يدرون سرق أم ذهب ، أم ما صنع به .

عن انعقاد بن معد يكره قل - سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكل يقم عليه ، فإن كان لا محالة فنلت طعام ، وثلت شراب ، وثلت لنفسه .

الفصل الخامس

من حكمه ومواعظه وتوجيهاته

إن لابن المبارك من الحكم والمواعظ والتوجيهات الكثير ، اقتصرنا منها على قدر يسير ، وذلك أن المجال المستفيض لدراسة هذه النواحي عند ابن المبارك إنما هو في روايته المستفيضة للأحاديث وهو لم يقتصر في هذه الروايات على أحاديث رسول الله ﷺ وإنما روى الكثير من حكم الحسن البصري وغير الحسن البصري من أفاضل الأمة الإسلامية ، ورواياته هذه إنما هي مختارات ، ولقد سئل مرة : هل تشتعل بحفظ الآثار فقال : إنني لأشغل نفسي بحفظ شيء ، وإنما أنظر في الكتب فما استحسنته نقش في صدري .

إن رواياته إنما هي اختيار له ، واختيار لبرء قطعة من عقله ، ومن شعوره ووجدانه ، إنما طابعه وحلقه - ولقد استفضا في الرواية عنه في محال الآثار ، وهي ذلك غناء عن الاستفاضة وفي إيراد حكمه ومواعظه ، رها هي دي بعض حكمه ومواعظه وتوجيهاته :

عن ابن المبارك أنه سأل رجل عن الرباط فقال . رباط بفسك على الحق حتى تقيمها على الحق ، فذلك أفضل الرباط .

وكان يقول : كيف يدعى رجل أنه أكثر علماً وهو أقل حوقاً وزهداً .

وكان يقول : من ختم نهاره بذكر ، كتب نهاره ذاكراً ، وكان

يمحى هذا العمل .

وكان يقول . رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير
تعظمه النية .

وكان رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين من كلامه :
وهل بدل الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
لقد رتع القوم فى حيفة بين لذى العلم إثنانها
وكان رضى الله عنه يقول . مسكين ابن آدم قد وكل به خمسة
أملاك : مكان بالليل ، وملكان بالنهار ، بجيئان ويذهبان والخامس
لا يفارقه ليلا ولا نهارا ، وكان إذا اشتهى شيئا لا يأكله إلا مع صيف .
وكان ينشد إذا ودع شخصا :

وهون وجدى أن فرقة بينا فرق حياة لا فراق ممات
وسش عبد الله . ما ينبغي أن يجعل عظمة شكرنا له ؟ قال زيادة
آخرتكم ونقصان دياركم ، وذلك أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان
دياركم وزيادة دياركم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم .
وعن عبد الله بن المبارك قال . حب الدنيا فى القلب والذنوب
احششته ، فمتى يصل الخير إليه ؟ .

قال ابن المبارك إذا عرف الرجل قدر نفسه يصبر عند نفسه أدل
من الكلب .

وكان يقول : كن محبا للخمول كارها للشهرة ولا تحب من نفسك
أنك تحب الحمول فترفع نفسك .

وقال عبد الله بن المبارك ودعى ابن جريح فقال : استودعك الله إن
كنت لئامونا .

قال . وودعي ابن عوف فقال . إن استطعت أن تكون مهتراً
بذكر الله فكن .

قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلين اصطحبا في الطريق ، فأراد
أحدهما أن يصلي ركعتين ، فتركهما لأجل صاحبه ، كان ذلك رياء ،
وإن صلاهما من صاحبه فهو شرك .

عن ابن وهب قال : رأى رجل سهيل بن عبيد بن المأم قال :
ما فعل بك ربك ؟ قال . نجوت بكمة علميها ابن أسارك ، قت
له . ما تلك الكمة ؟ ، قال : فون الرجل يارب عفوك عفوك .

عن عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر بن عياش قال . اجتمع أربع
ملوك ملك فارس ، وملك الروم ، وملك الهند ، وملك الصين ،
فحكسوا بأربع كسمات كأنما رمى بهن عن قوس واحدة ، فقال
أحدهم أنا على قول ما لم أقدر مى على رد ما قلت ، وقال الآخر
إذا قتها ملكسى ، وإذا لم أقدر ملكتها . وقال الآخر : لا أئدم على
ما لم أقبل ، وقد أئدم على ما قلت . وقال الآخر عجبت لمن يتكلم
بالكمة إن رفعت عليه ضرته وإن لم ترفع عليه لم تنفعه .

عن عبد الله بن المبارك عن أنخيره قال . قدم وفد من وفود العرب
على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروعة فيكم ؟ :

قالوا العفاف في الدين ، والإصلاح في المعيشة .

فقال معاوية : أسمع يا يزيد .

قال رجل لابن المبارك : بقي من يصح ؟ قال فهل بقي من يقبل ؟ .

وكان يقول : كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين .

وفيل به إن جماعة من أهل العلم يأخذون من الناس الركوات .

فقال : فما نصنع . إن معنائهم وقفوا عن طلب العلم ، وإن رخصنا لهم حصلوا العلم وتحصيل العلم أفضل .
وكان يقول : لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بستمائة ألف ألف .

وقبل له . ما التواضع ؟ قال التكبر على الأعياء .
ودكر عبد الله ما كان عليه يوسف بن أسباط من العبادة ، فقال :
لقد دكرتم قوما يستشفي بذكرهم ، ولكن إن فعل الناس جميعهم ذلك ، فمن لسن رسول الله ﷺ .
وعن الوليد بن عقة قال : قال عبد الله بن المبارك صلينا الأدب حين فاتنا المؤدبون .

عن أبي أمية الأسود قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول :
أحب الصالحين ولست مهم . وأبغض الطالحين وأنا شر منهم .
ثم أنشد عبد الله يقول :

الصمت أزن بالفتى	من منطلق في غير حينه
واصدق أجمل بالفتى	في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره	سمة تلوح على جبينه
فمن الدى يخفى عليك	إذا نظرت إلى قرينه
رب امرئ متيعن	علب لشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه	فاتباع دنياه بدينه

قام رجل إلى ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن في أي شيء
أجعل فصل يومي ، في تعلم القرآن ، أو في طلب العلم ؟ فقال : هل

تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك ؟ قال : نعم ، قال : فاجعله في طلب العلم الذي يعرف القرآن .

عن الحسين بن الحسن المروزي ، قال سمعت ابن المبارك يقول : أهل الدنيا حرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها ، قيل له : وما أطيب ما فيها ؟ قال : اعرفة بالله عز وجل .

حدثنا أبو بكر الصوفي عن بعضهم قال : ورد على أمير المؤمنين الرشيد كتاب صاحب الخيرة من هيت أنه مات رجل بهذا الموضع عري ، فاجتمع الناس على حمارته ، فسألت عنه فقالوا : عبد الله بن المبارك الخراساني ، فقال الرشيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فضل بن الفضل بن الربيع وريره - اتدرك في الناس من يعتزوا في عبد الله ابن المبارك ، فأظهر الفضل تعجبا ، فقال : ويحك ! إن عبد الله هو الذي يقول :

الله يدفع بالسلطان معصلة . عن ديننا رحمة منه ورضوانا لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل . وكان أضعفا نهبا لأقوانا من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة ، ولا يعرف حقنا .

عن عبد الرحمن بن عبيد الله يقول : كما عند الفضل بن عياض فجاء فتى - في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين - فتعبد إليه ابن المبارك ، فقال رحمه الله ، أما إنه ما حلف بعده مثله وكان رضى الله عنه يقول : ما بقي في زماننا أحد أعرف أنه يأخذ النصيحة بانسراح قلب وقيل له : كيف تعبد الملائكة أن الإنسان قد هم بحسنة ؟ فقال رضى الله عنه : يجدون ريحها .

وكان رضى الله عنه يقول : أربع كلمات انتخب من أربعة آلاف حديث لا تثق بامرأة ، ولا تعترن بمال ، ولا تحمل مصرتك ما لا تطيق وتعلم من العلم ما ينفعك فقط .

وعن سعيد بن داود يقول سألت ابن المبارك : من الناس ؟ قال العلماء ، قلت من الملوك ؟ قال الزهاد ، قلت : فمن السفلة ؟ قال الذين يعيشون بدينهم .

المراجع

- كتاب الزهد والرفائق - لابن المبارك - تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي
كتاب الجهاد - تحقيق الأستاذ نزيه حماد
عبدالله المبارك - تأليف الدكتور عبد المجيد المحسب
عبدالله المبارك - تأليف فضيلة الشيخ أبو الوفا المرعي
حلية الأولياء - لأبي نعيم
صفة الصفوة - لابن الجوزي
تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي
الكواكب الدرية - للإمام المناوي
رفيات الأعيان - لابن خنكان
الطبقات الكبرى - لشعرائي

الفهرست

الصفحة	
٧	الفصل الأول : تقدير ابن المبارك
١٩	الفصل الثاني : حياة ابن المبارك
٢٢	ابن المبارك والعلم
٢٤	مخلوة ابن المبارك علمية
٢٦	ابن المبارك عالم اتباعي
٣٠	ابن المبارك والورع والزهد
٣٢	تواضعه
٣٢	التاجر الثرى
٤٩	الفصل الثالث : الجهاد والمجاهد
٨١	الفصل الرابع : المحدث والحديث
٨١	المحدث
	من مؤهلات السنة
٨٦	١ - الاخلاص
٨٦	٢ - الذاكرة القوية
٨٧	٣ - حب السنة
٨٨	٤ - التحرى
٩٢	١ - فى القرآن
١٠٧	٢ - فى الإسلام
١٠٩	٣ - فى الإيمان

١١٤	٤ - في الآخرة
١١٩	٥ - في العلم
١٢٣	٦ - في الصلاة
١٢٢	٧ - في الصدقة
١٣٦	٨ - في الصوم
١٣٨	٩ - في الحج
١٣٩	١٠ - في الذكر
١٤٧	١١ - في الدعاء
١٥٠	١٢ - في الأخلاق
١٦٣	١٣ - في الزهد
١٦٧	متناثرات
١٧٣	الفصل الخامس : من حكمه ومواعظه وتوجيهاته
١٧٩	المراجع
١٨١	محتويات الكتاب

رقم الإيداع	١٩٩٥ / ٤٨٩٧ -
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-4973-4

١ / ٩٣ / ٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

جاء رجل فسأل سفيان الثوري عن مسألة ..
 فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من أهل
 المشرق .. قال : أو ليس عندكم أعلم أهل
 المشرق ؟ .. قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟
 قال : عبد الله بن المبارك .. قال : أهو أعلم أهل
 المشرق ؟ قال : نعم .. وأهل المغرب .



دارالمعارف

٣١٤٩٦

طال المعارف